الفصل الثاني

تصميم البحث الاجتماعي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

تصميم البحث الاجتماعي

يقوم إعداد البحث الاجتماعي على مجموعة من الخطوات التي تقسم إلى قسمين:

القسم الأول يتضمن الخطوات الخاصة بمرحلة تصميم البحث وإعداده مكتبياً.

والقسم الثاني يشمل الخطوات المرتبطة بتنفيذ البحث في الميدان (إعداده ميدانياً).

ويبين هذا الفصل (الفصل الثاني) القسم الأول الذي يعرض مراحل تصميم البحث الاجتماعي قبل النزول إلى الميدان، أي إنجاز الخطوات التي يصممها الباحث الاجتماعي مكتبياً بالاستناد إلى النظريات العلمية، والتراكم المعرفي المكون لديه، والمصادر المكتبية المختلفة بدءاً من تحديد وتعريف مشكلة البحث ومبرراتها، إلى الأهداف بأنواعها الفورية والنهائية، إلى الفروض أو التساؤلات ومتغيراتها، ثم التعريفات (المصطلحات) التي توضح الفروض والمفاهيم الأخرى المعتمدة في البحث وتحتاج إلى توضيح، إلى النظرية الاجتماعية التي يجب أن تعتمد في البحث، ثم تحديد المجتمع الأصلي والعينة المناسبة له، إلى مجالات البحث وما تتطلبه هذه المجالات من توضيح وأهمها تحديد البرنامج الزمني المفصل للبحث.

ولعل هذه الخطوات العلمية التي يتضمنها الفصل الثاني تتجسد في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول

المرحلة التمهيدية

تشمل المرحلة التمهيدية إعداد الخطوات الآتية:

أولاً: تحديد وتعريف مشكلة البحث ومبرراته[1]:

Identifying, Defining and Justifing The Research Problem

أ- تحديد المشكلة:

١- التناقض.

٢- التساؤل.

٣- الإجابات.

ب- تعريف المشكلة:

١- الحدوث والانتشار.

٢- المناطق الجغرافية المتأثرة بالمشكلة (المجال المكاني).

٣- خصائص المجموعات السكانية.

٤- الأسباب المحتملة للمشكلة.

---

(١) يمكن أن تنقسم هذه الخطوة إلى خطوتين هما: تحديد وتعريف المشكلة ومبررات المشكلة.

٥- الحلول الممكنة.

٦- الأسئلة التي تتم الإجابة عنها.

"الأسئلة التي سيجيب عنها البحث".

جـ- مبررات مشكلة البحث:

١- إنها مشكلة حالية، وظهرت في هذا الوقت.

٢- إنها تؤثر على مجموعة كبيرة من السكان.

٣- إنها تؤثر على مجموعة خاصة من السكان.

٤- إنها ترتبط بأنشطة البرنامج الحالي.

٥- إن لها آثاراً اجتماعية أو اقتصادية أو صحية أو سياسية واسعة.

٦- إنها تعد مشكلة مهمة بالنسبة لجماعات كثيرة مختلفة.

أ- تحديد المشكلة: Problem Identification

يوجد في المجتمع مشكلات عدة، والتعرف على المشكلة ليس بالأمر الصعب، غير أن تحديد المشكلة لغرض الدراسة والبحث هو ما يعد صعباً.

ولعل من أهم مبادئ الدراسة والبحث هو تحديد المشكلة وتعريفها تعريفاً واضحاً. ولذلك فإن عدم الوضوح (عدم وضوح المشكلة) بالنسبة للباحث ينعكس على الآخرين، بحيث تبدو هذه المشكلة بالنسبة لهم مبهمة وغير واضحة.

ويقودنا تحديد المشكلة إلى تحديد أهداف البحث، ووضع الفروض، وتحديد المتغيرات، واختيار طرق قياس هذه المتغيرات، وعلى العكس فإن عدم وضوح المشكلة يؤدي إلى التشتت الفكري.

وتتبـع جميع البحوث من وجود المشكلة، وتعريفها بحيث يتضمن ذلك وجود صعوبات أو إحساس بعدم الارتياح لأمر واقع. أو هو وجود تناقض بين ما يحس الفرد بأنه يجب أن يكـون وبـين ما هو موجود فعلاً. وعادة ما تكون المشـكلات القوة المحركة لأي بحث، ولكن ليس بالضرورة أن كل مشكلة تحتاج لبحث أو دراسة.

ولكي تكون المشكلة بحاجة إلى بحث ودراسة يجب أن تتوافر لها ثلاثة شروط هي:

١- التناقض بين ما هو موجود وما يجب أن يكون موجوداً.

٢- التساؤل عن سبب وجود هذا التناقض.

٣- وجود إجابات لهذا التساؤل لا تقل عن إجابتين محكمتين لكل سؤال.

مثال لمشكلة لا تستلزم البحث

المشكلة:

وفـق أنظمـة الجامعة يجـب على الطلبة ارتـداء اللباس الجامعي الموحـد، ولكن من خـلال القيام بإحصاء حول ذلـك تبين أن الطلبة في الجامعة لا يرتدون اللباس الجامعي الموحد.

التناقض:

يجب أن يرتدي طلبة الجامعة اللباس الجامعي الموحد.

وجد أن الكثير من الطلبة لا يرتدون اللباس الجامعي الموحد.

التساؤل:

ما سبب أو أسباب عدم ارتداء الطلبة في الجامعة اللباس الجامعي الموحد؟

الإجابة:

من الأسباب:

عدم رضا الطلبة على اللون الخاص باللباس الجامعي الموحد ونوعية القماش أو غير ذلك.

في هذا المثال توجد المشكلة وسببها معروف وبمجرد تغيير اللون ونوعية القماش تنتهي المشكلة، لذلك مثل هذا النوع من المشكلات لا يستلزم بحثاً.

مثال لمشكلة قابلة للبحث

المشكلة:

تعد الدولة (س) من البلدان غير المنتجة للمخدرات، أي لا يوجد فيها تصنيع أو زراعة لأنواع المخدرات، ولا تعد دولياً في قائمة البلدان المصنفة بوجود المخدرات فيها، غير أن بعض الدراسات الاستطلاعية، ومن خلال وجود عدد من المتعاطين وتجار المخدرات في السجون، ووجود مؤسسات ودور رعاية لعلاج الإدمان فيها تبين أن هناك مشكلة تتعلق بالمخدرات وتعاطيها، الأمر الذي يشير إلى وجود مشكلة قابلة للبحث.

التناقض:

على الرغم من أنه يجب ألا تكون مشكلة المخدرات موجودة في الدولة (س) بناء على تصنيفها من البلدان غير المنتجة للمادة المخدرة إلا أنه في الواقع هناك مشكلة (وجود المتعاطين للمخدرات والمتاجرين فيها في السجون، ودور الرعاية والمكافحة للتعاطي والأدمان... إلخ).

التساؤل:

ما السبب أو الأسباب الكامنة وراء هذا التناقض؟

الإجابات الممكنة:

١- باعتبار البلد (س) بلد عبور، ومن خلال البلدان المجاورة التي توجد فيها هذه المخدرات لذلك ربما يكون هذا هو السبب.

٢- الاتجار بالمخدرات تجارة رابحة وبشكل سريع وتغري العديد من أصحاب النفوس المريضة.

٣- هناك أسباب اجتماعية ـ أسرية.

إذاً المشكلة باتت واضحة، وتحتاج إلى دراسة، لأنها تعيق التقدم الاجتماعي، وتصيب شرائح كبيرة في المجتمع.

نموذج لمشكلة قابلة للبحث

في مجال موضوعات تنظيم الأسرة[1]

المشكلة:

أثبتت دراسة في مجال تنظيم الأسرة أن هناك اختلافاً كبيراً بين القرى من ناحية انتشار وسائل تنظيم الأسرة. فبرغم أن جميع القرى تحصل على نفس مستوى الخدمة الصحية وخدمات تنظيم الأسرة إلا أن نسبة انتشار وسائل تنظيم الأسرة تصل في بعض القرى إلى (٨٠٪) وفي البعض الآخر إلى (٦٪).

التناقض:

على الرغم من أنه يجب أن تكون نسبة انتشار الوسائل في جميع القرى متقاربة إلا أنه في الواقع هناك تباين كبير بينها.

---

(١) مجموعة باحثين: أندرو فيشر، جون لينح، جون ستوكل، جون تونسنا: تصميم بحوث عمليات تنظيم الأسرة، ترجمة مجلس السكان الدولي، القاهرة، ١٩٩٣ص٦.

التساؤل:

ما العوامل المتسببة في هذا الاختلاف بين القرى؟

الإجابات الممكنة:

١- وجود اختلاف بين القرى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية يؤثر على مستوى استخدام تنظيم الأسرة. فعلى سبيل المثال: هناك بعض القرى الزراعية وأخرى تعتمد على الصيد، وبعض القرى لديها إمكانيات لاستخدام الأسواق في المدن وأخرى ليست لديها تلك الإمكانيات. وكذلك هناك بعض القرى بها مدارس- كهرباء... ومصدر جيد للمياه، وأخرى ينقصها ذلك. وهذه الاختلافات تؤثر على مستوى استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

٢- تختلف القرى من حيث وجود المؤسسات المساندة (أو المؤيدة) لفكرة تنظيم الأسرة. ففي بعض القرى نجد أن القوى المؤثرة محلياً تؤيد بشدة البرنامج القومي لتنظيم الأسرة وفي قرى أخرى لا يؤيدونه. كما توجد في بعض القرى نوادٍ نسائية نشطة تؤيد تنظيم الأسرة وفي قرى أخرى لا تؤيد مثل هذه النوادي النسائية. وهذه الاختلافات المتعلقة بوجود المؤسسات المساندة لتنظيم الأسرة تؤثر على مستوى استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

٣- مستوى العاملين في مجال الصحة وتنظيم الأسرة يختلف من حيث الكفاءة، ففي بعض القرى يكون العاملون في مجال تنظيم الأسرة ذوي نشاط واهتمام كبير وفي بعض القرى الأخرى يكون اهتمام العاملين ونشاطهم أقل. وهذه الاختلافات في كفاءة العاملين تؤثر على مستوى استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

في هذا المثال لوحظ أنه على الرغم من أن المشكلة كانت واضحة إلا أن أسبابها كانت معقدة. فبرغم إعطاء ثلاث إجابات محتملة للمشكلة إلا أنه مازالت توجد إجابات أخرى للتساؤل، وفي هذه الأحوال فإن مهمة الباحث أن يكرس جهداً ووقتاً أكثر لتحديد المشكلة. حيث إن الهدف هو تركيز البحث على أكثر جوانب المشكلة أهمية.

ب- تعريف المشكلة: Problem Definitions

تعد عملية تحديد المشكلة، الخطوة الأساسية الأولى لبناء خطة البحث، ولكن يجب أن يتلوها عملية تعريف لهذه المشكلة من ناحية حدوثها أو حدتها أو كثافتها أو توزيعها أو أي مقاييس لمعلومات أخرى متاحة. والغرض هو تحديد كل ما هو معروف عن المشكلة وسبب وجودها. وبرغم أنه من الممكن دائماً تخمين سبب المشكلة إلا أنه قد وجد أن هذه الطريقة غالباً ما يجانبها الصواب، ولا تصلح أساساً حاسماً لإعداد خطة البحث. وقد وجد أن الطريقة المثلى لتعريف المشكلة هي مراجعة ما كتب عنها، والاستعانة بالإحصاءات ووجهات نظر المهتمين بهذه المشكلة ومحاولة الحصول على أسبابها المحتملة من النظريات الاقتصادية والاجتماعية، وذلك يساعد الباحث على تحديد الجوانب الآتية:

١- الحدوث والانتشار Incidence and Prevalence

ينبغي إجراء التشخيص المرتبط بالبحث (المشكلة) أو بمعنى آخر معرفة مدى انتشار المشكلة وتوزيعها وتكرار حدوثها وكل هذا يساعد الباحث في الحصول على معلومات لهذه المشكلة.

٢- المناطق الجغرافية المتأثرة بالمشكلة Geographic Areas Affected

من المهم أن نعرف ما إذا كانت توجد مناطق جغرافية معينة متأثرة بالمشكلة، وما إذا كانت المشكلة تحدث عموماً في المناطق الريفية فقط أم أنها تؤثر على المدن أيضاً؟ وهل تنحصر في المناطق الجبلية أو الساحلية أو الجزر؟

٣- خصائص المجموعات السكانية Characteristics of Population Groups

يقصد بذلك وجود جماعات خاصة من السكان متأثرة بالمشكلة مثل: الأمهات - الأطفال - المراهقين - المتزوجين حديثاً أو السيدات أكثر من (٣٥ سنة)، العمال - الفلاحين...إلخ.

٤- الأسباب المحتملة للمشكلة: Proobale Resaoms for Problem

إن مراجعة المعلومات المتوافرة عن المشكلة سيؤدي حتماً إلى تكوين فكرة عن الأسباب المحتملة لهذه المشكلة، والرأي الحالي بشأن هذه الأسباب، وهل هناك اتفاق عام حولها أم يوجد العديد من وجهات النظر المختلفة المتصارعة.

٥- الحلول الممكنة: Possible Solutions

إن كثيراً من المشروعات والبرامج وجهت لحل هذه المشكلة فأي الحلول تمت تجربتها؟ ومدى نجاح هذه الحلول؟ وأي هذه الطرق تبدو أقرب إلى حل هذه المشكلة؟

٦- الأسئلة التي لم يتم الإجابة عنها: Unanswered Questions

ما الأسئلة التي لم يتم الإجابة عنها بخصوص المشكلة؟ وما الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث؟ وعليه، فإن مراجعة ما هو معروف عن المشكلة يعد جزءاً أساسياً من عملية البحث. فالمراجعة الجدية للمعلومات المتوافرة ستوضح الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصحية للمشكلة، وبهذا ستساعد على تضييق حلقة البحث المقترح، وستحدد المبادئ النظرية والمتغيرات العملية لهذا البحث. وستوضح النظريات المساندة، له وأخيراً فإنها ستساعد الباحث على تجنب إجراء بحث لمشكلة قد درست مرات لا حصر لها في الماضي.

ملاحظة: يمكن تطبيق ما سبق على أي مشكلة من المشكلات القابلة للبحث، ونذكر مثلاً:

مشكلة أسباب تعاطي المخدرات في المجتمع، أسباب الهجرة من الريف إلى المدينة، أثر العوامل الاجتماعية في دفع الفرد لارتكاب الجريمة في المجتمع... إلخ.

الخلاصة: ماذا نفعل لتحديد المشكلة وتعريفها؟

١- اتباع هذه الطريقة العامة لتحديد المشكلة وتعريفها:

١-١ البدء بصياغة بسيطة للمشكلة.

١-٢ نضيف إلى هذه الصياغة بعض التفاصيل بعد مراجعة المعلومات المتوافرة عن المشكلة، وتفحصها بعمق أكثر.

١-٣ التركيز على أهم جوانب المشكلة.

٢- نحدد المشكلة باستخدام النموذج الآتي:

المشكلة: كتابة فقرة بسيطة مختصرة تحدد المشكلة.

التناقض: توضيح التناقض بين ما هو موجود وما يجب أن يكون موجوداً.

السؤال: كتابة السؤال الرئيس الذي يوضح المشكلة؟

الإجابات الممكنة: كتابة إجابتين أو أكثر للسؤال الرئيس للمشكلة.

٣- نضيف إلى المشكلة بعض التفاصيل، وذلك من خلال الأبحاث السابقة والإحصاءات، وآراء المختصين. وتحديد المفاهيم النظرية والمتغيرات العملية الملائمة للمشكلة. ثم نضع إجابات للأسئلة الآتية:

٣-١ متى تحدث المشكلة؟ وما مدى انتشارها؟

٣-٢ ما المناطق الجغرافية المتأثرة بالمشكلة؟

٣-٣ ما المجموعات السكانية التي تتأثر بهذه المشكلة؟

٣-٤ ما نتائج البحوث الأخرى؟

٣-٥ ما الذي تم عمله للتغلب على المشكلة سابقاً؟

٣-٦ ما مدى نجاح الجهود السابقة لحل المشكلة في الماضي؟

٣-٧ ما الأسئلة الرئيسة التي لم يتم الإجابة عنها لمواجهة المشكلة؟

٤- ومن المعطيات التي تم جمعها نعد صياغة لتحديد شكل وتعريف المشكلة واستخدام النموذج السابق الذي يتضمن المشكلة والتناقض والسؤال والإجابات الممكنة مرة أخرى. ونضيف إلى الصياغة ما نجده ملائماً لتحديد المشكلة، ومحاولة تحديد أبعاد المشكلة مع التركيز على أهم الجوانب القابلة للبحث. وفي جميع الأحوال يجب التحديد والوضوح لما سبق.

٥- قيام بعض الأصدقاء بقراءة ما تم كتابته، والتعرف على مدى تفهمهم لهذه المشكلة، فإذا لم يتمكنوا من وصف المشكلة أو وصف التناقض بين ما هو موجود وما يجب أن يكون فيجب إعادة الصياغة مرة أخرى.

جـ- مبررات مشكلة البحث: Problem Justification

إن الخطوة التي تلي إيجاد وتحديد المشكلة هي تبرير وإيضاح أهميتها. وبما أن البحث بصفة عامة مكلف ويستغرق كثيراً من الوقت فلا بد دائماً أن نتساءل أولاً عن أهمية المشكلة موضع البحث وما إمكانية تبرير اختيارها بالذات؟ وهل يمكن إقناع الآخرين بأهميتها أولاً؟

ماذا تفعل لتبرير اختيار مشكلة البحث؟

١) من المهم عند تبرير أهمية مشكلة البحث أن نطرح أسئلة عدة ونحاول الإجابة عن كل منها، مثل:

- هل المشكلة التي نرغب في بحثها مشكلة حالية وملحة؟ هل هي موجودة بالفعل الآن أم لا؟

- ما مدى انتشار المشكلة؟ وهل تؤثر هذه المشكلة على كثير من الناس والمناطق؟

- هل تؤثر المشكلة على جماعات خاصة؟

- هل ترتبط المشكلة بالواقع الحالي؟

- هـل تتعلق المشكلة بقضايا صحية أو اقتصادية أو اجتماعية أكبر مثل البطالة، سوء توزيع الدخل، وضع المرأة في المجتمع، التعليم أو صحة الأم والطفل؟

- من هم المهتمون بهذه المشكلة؟ وهل تهم مسؤولين كباراً في الحكومة؟

٢- نراجع الإجابات عن هذه الأسئلة، ونرتبها في مقالة صغيرة يمكن عن طريقها إيضاح تبرير مشكلة البحث.

ثانياً: الأهداف: Objectives

تتجسـد الأهداف كما أشرنا فيما سبق من تحديد المشكلة وتعريفها ومعرفة جوانبها وأبعادها وتبرير أهميتها. وهي نوعان:

١- الأهداف النهائية: Ultimate Objectives

تتضمن معظم الدراسات والأبحاث صياغة للأهداف النهائية التي تصف الإنجازات المتوقعة من الدراسة.

وتساعـد الأهـداف النهائيـة علـى ربط مقـترح البحـث بالاهتمامـات الاجتماعية والاقتصاديـة والصحيـة فيمـا يتعلق بموضـوع الدراسة، حيـث إنها توضـح الإنجازات المنطقيـة المتوقعة من الدراسة. وبهذا فهي تقدم المـبررات الكافية لأهمية إجراء البحث للمشكلة.

ويجب مراعـاة أن الأهداف النهائية هي مجرد إنجـازات متوقعة ومرجوة وأنه ليس بمقدور الباحث تقديم وعد بأن هذه الإنجازات تحدث أو تتحقق.

فمثـلاً: الهـدف النهائـي لكثير مـن الدراسات التـي تجري في مجال موضـوع الفقر هو المساهمة بشكل أو بآخر في خفض نسبة انتشاره في المجتمع.

وكذلك الهـدف النهائي لدراسة مشكلة المخدرات مثلاً هو القضاء النهائي على هذه المشكلة.

أمثلة أخرى لهدف نهائي لدراسات مختلفة:

١- دراسـة: (اتجاهات الطالبة الجامعية السعودية نحـو الأستاذة الجامعية الناجحة). الهدف النهائي لهذه الدراسة التعرف على اتجاهات الطالبة الجامعية السعودية نحو الصفات الشخصيـة، والمهارات، والقيم السلوكية المفضلة من قبل الطالبة للأستاذة الجامعية الناجحة.

٢- دراسـة: (العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتـكاب الفرد للجريمة في المجتمع) الهدف النهائـي لهذه الدراسة معرفة العوامل الاجتماعيـة المؤثرة في ارتكاب الجريمة لعلاج هذه العوامل والحد من انتشار الجريمة في المجتمع.

٣- دراسـة: (رأي عام عن منح المـرأة العربية حقوقها السياسـة)والهدف النهائي من هذه الدراسة هو العمل على تمكين المرأة من المساواة في سلطة اتخاذ القرار السياسي في البلاد العربية (الترشيح - الانتخاب... إلخ).

ب- الأهداف الفورية (أو قصيرة الأجل) Immediate Objectives

علـى العكس من الأهداف النهائية التي توضح ما هو متوقع حدوثه نجد أن الأهداف الفوريـة توضح ما سيحدث بالفعل، فهي ترتبط ارتباطـاً مباشراً بمشكلة البحث نفسها، حيـث تشير إلى المتغيرات التي سيتم اختبارها وقياسها، وتقدم وعداً من الباحث بإنجاز أنشطة معينة واختبار متغيرات محددة.

وهنـاك نقاط مهمـة لا بـد أن توضحها وتحددها الأهـداف الفوريـة، وبالذات عند القيـام بأي دراسـات تقييمية مثل من الذي سيقوم بالعمل؟ مـا مقدار ما سيتم إنجازه؟ من المستفيد؟ متى؟ أين؟ ولأي غرض؟.

أمثلة للأهداف الفورية:

١- أجريت دراسة رأي عام حول سبب انخفاض بيع شركة كوداك لأفلامها في المملكة العربية السعودية. وكان الهدف الفوري من هذه الدراسة هو في خلال شهرين، وهي مدة الدراسة ستقوم وحدة الدراسات والاستشارات الاجتماعية بدراسة بحثية لاستطلاع ما هي أسباب انخفاض بيع شركة كوداك لأفلامها في المملكة من خلال اختيار مدن مثل الرياض، جدة، الدمام...إلخ، وذلك للعمل الفوري على رفع كمية البيع من إنتاج الشركة في المملكة.

٢- أجريت دراسة تجريبية في سورية لتقديم تنظيم الأسرة في مكان العمل، وكان الهدف الفوري منها هو في خلال مدة ١٨ شهراً، وهي مدة دراسة التدخل ستقوم جمعية تنظيم الأسرة في سورية بالعمل مع ١٥-٢٠ موقعاً مختاراً للعمل مثل المصانع والفنادق والمشروعات الأخرى في منطقة دمشق، وخلال هذه المدة ستنفذ الجمعية دراسة بحثية لاختبار أو تجربة نموذجين من نماذج تقديم الخدمة في مكان العمل. وسيتم مقارنة الأسلوبين كل منهما بالآخر ومقارنتهما بأسلوب ثالث (ضابط) وذلك من ناحية التكلفة، والمعلومات المتصلة بوسائل تنظيم الأسرة، واستخدام وسائل تنظيم الأسرة ومدى الرضا عن الخدمات المقدمة ومقاييس أخرى.

ويمكن أن تدمج الأهداف النهائية مع الأهداف الفورية تحت خطوة الأهداف، كما هو الحال في دراسة "أسباب الطلاق في المجتمع السعودي"، حيث تتجسد الأهداف الفورية في الآتي:

١- التعرف على واقع ظاهرة الطلاق في السعودية.

٢- التعرف على الأسباب الاقتصادية التي تسهم في ازدياد حجم مشكلة الطلاق في السعودية.

٣- التعرف على الأسباب الاجتماعية الكامنة وراء ازدياد حجم مشكلة الطلاق في السعودية.

٤- التعرف على واقع المطلقين والمطلقات من جراء الطلاق... إلخ.

ويكمن الهدف النهائي في:

٥- الحد من حجم مشكلة الطلاق في السعودية سعياً للخلاص منها.

وينطبق هذا على دراسة مثل "**مشكلة المخدرات في المجتمع (السعودي . السوري.. إلخ)**". أو دراسة مثل "**أثر العوامل الاجتماعية في الدفع لارتكاب الجريمة**".

أو دراسة مثل "**أثر العوامل الاجتماعية في الدفع لتعاطي المخدرات عند الشباب**"...إلخ.

الخلاصة: ماذا نفعل عند صياغة الأهداف النهائية والقصيرة؟

١- نراجع قائمة المتغيرات التابعة، ثم نكتب بياناً بالأهداف النهائية المتعلقة بها، ثم نسأل أنفسنا السؤال الآتي:

بعد معرفتنا للعوامل التي تسببت أو حددت أو أثرت على المتغير أو المتغيرات التابعة، فكيف يمكن استغلال هذه المعلومات لخدمة من يهمهم الأمر؟ كيف يمكن استخدام نتائج الدراسة في علاج المشكلة المطروحة؟ وبمعنى آخر: ما الإنجازات المتوقعة من هذه الدراسة؟

٢- نكتب الأهداف القصيرة الأجل، ونركز اهتمامنا على الأعمال المحددة التي سنقوم بتنفيذها ونكتب بالضبط ما نخطط لعمله؟ وما المتغيرات التي نرغب ونخطط لقياسها؟ ثم نكتب الأهداف التي تجيب عن الأسئلة الآتية:

من الذي سيقوم بالعمل؟ من المستفيد؟ أين سيتم التنفيذ؟ ما مقدار ما سيتم إنجازه؟

٣- نحاول أن تكون الأهداف:

- محددة Specific بحيث تحدد الفئة المستهدفة والتغيير المتوقع.
- متسقة Consistint غير متناقضة وتعبر عن الموضوع المدروس.

- قابلة للقياس Measurable بحيث تساعدنا في التتبع والتقييم.
- واقعية Realistic ممكن إنجازها وتحقيقها.
- زمنية Time Bound أي تتحقق بانتهاء زمن البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

في هذه الخطوة من خطوات تصميم البحث الاجتماعي الميداني يقوم الباحث بعرض لجميع البحوث السابقة التي تطرقت لموضوع دراسته والاستفادة من نتائجها وتجاربها وخبراتها العلمية والميدانية، ولكي لا يقع في أخطاء غيره، ولكي لا يكرر الموضوعات ذاتها، ولكي يبدأ من حيث انتهت هذه الدراسات. وهنا نؤكد على أن هذا العرض يشمل الدراسات النظرية والدراسات الميدانية في آن واحد التي تطرقت للموضوع المدروس.

وفي العرض يقدم الباحث تحت العنوان المشار إليه (الدراسات السابقة) عرضاً مكثفاً للدراسة يتضمن اسم الباحث، واسم الدراسة أي موضوعها، وما أهدافها، وما نتائجها وكيفية الاستفادة منها وكيفية ربطها بنتائج دراسته. وذلك وبشكل مختصر بما لا يزيد على عشرات الأسطر.

مثال:

من الدراسات السابقة لدراسة "أسباب الطلاق في المجتمع السعودي".

- "دراسة للباحث الدكتور محمد برهوم، وهي بعنوان ظاهرة الطلاق في الأردن. دراسة اجتماعية ميدانية. تعالج هذه الدراسة موضوع الطلاق في الأردن نظراً لأهميته وما لارتفاع نسبته من آثار سيئة في المجتمع الأردني.

تهدف الدراسة إلى تشخيص الظاهرة بقصد اقتراح الحلول المناسبة التي تساعد على خفض النسبة، وقد اختيرت لهذا الغرض (٢٥٠) حالة من المطلقات وصمم استبيان

(استمارة) بشكل يناسب أغراض الكمبيوتر)، وتبين من تحليل النتائج أن تدخل أهل المطلقين في شؤون الأسرة، وسوء التفاهم والتوافق برزت بوصفها أسباباً أساسية لوقوع الطلاق.

وانتهت الدراسة إلى أنه لا بد من مشاركة مجموعة من المختصين من رجال الدين والقضاء وعلم النفس والتربية والطب والاجتماع لدراسة المشكلة تمهيداً لوضع العلاج اللازم[1].

ولا بد من الإشارة هنا إلى قضية مهمة هي:

عند الانتهاء من عرض جميع الدراسات السابقة يجب الإشارة إلى الثغرات الموجودة فيها، وكيف سيستفاد نظرياً ومنهجياً وميدانياً من هذه الدراسات (ما يسمى التعليق على الدراسات السابقة).

رابعاً: النظرية العلمية (النظرية الاجتماعية):

تستخدم النظرية العلمية لتفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات التي تتعلق بموضوعها ومادتها ووظائفها، حيث تساعد على نضوج واكتمال العلم، وتفسير الظواهر الواضحة الغامضة والتفاعلات الأساسية والقانونية والعوامل الموضوعية والذاتية للعلم.

وتعد النظرية الاجتماعية في الدراسات الاجتماعية المجسد الحقيقي للنظرية العلمية، فلا بد من وجودها بوصفها خطوة من خطوات البحث الاجتماعي، وهناك العديد من النظريات الاجتماعية يجب على الباحث اختيار إحداها أو بعضها لتكون النظرية المعتمدة للموضوع المدروس.

ويجب على الباحث هنا عرض النظرية المناسبة للموضوع المدروس باختصار مبرراً استخدامها وكيف سيطبقها، ولماذا هي دون غيرها من النظريات الاجتماعية الأخرى.

---

(١) د. محمد برهوم: ظاهرة الطلاق في الأردن- دراسة اجتماعية ميدانية، مجلة دراسات، عدد كانون الأول ١٩٨٦، ص١٨٩.

بعض الأمثلة على استخدام النظرية الاجتماعية المناسبة لبحث اجتماعي ما[1].

أ- النظرية البنيوية[2]:

يمكن تطبيق النظرية البنيوية على بحثين اجتماعيين علميين هما بحث "الطلاق كمظهر من مظاهر التفكك الأسري" وبحث "السرقة كمشكلة اجتماعية".

١- تطبيق النظرية البنيوية على بحث "الطلاق كمظهر من مظاهر التفكك الأسري":

تساعدنا النظرية البنيوية في فهم "الطلاق كمظهر من مظاهر التفكك الأسري" وذلك من خلال دراسة العوامل البنيوية التي تدفع الزوجين أو أحدهما إلى طلب الطلاق للتخلص من الحياة الزوجية الشاقة أو الفاشلة. وبالعوامل البنيوية للطلاق نعني الأسباب الموضوعية والذاتية المتأتية من البناء الاجتماعي المحيط بالزوجين وبحياتهما الزوجية كصعوبة الظروف الاقتصادية للعائلة وتدخل الأهل والأقارب في الحياة الزوجية للزوجين وكثرة النزاعات والمشاحنات بين الزوجين لأسباب تتعلق بالفوارق الذهنية والعمرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية وصعوبة الحياة التي يعيشها الزوجان وكثرة عدد الأطفال، وأخيراً مرور المجتمع في مرحلة انتقالية نتيجة لمظاهر التحضر والتنمية والتصنيع ونقل التكنولوجيا... إلخ. ناهيك عن تساهل المحاكم والأجهزة العدلية في منح ترخيص الطلاق لمن يطلبه من الأزواج والزوجات. لهذه العوامل البنوية تكثر حوادث الطلاق وتهدم العديد من الأسر مما يترك آثاره الوخيمة على ضحايا الطلاق وبخاصة الأطفال الأبرياء.

---

(١) تم الاعتماد في عرض هذه الأمثلة على كتاب: د. إحسان محمد الحسن، النظريات "دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة"، دار وائل للنشر، ٢٠٠٥م.

(٢) للاطلاع على مضمون النظرية البنوية والنظريات الأخرى يمكن العودة إلى مراجع النظريات الاجتماعية المختلفة ومنها المرجع السابق.

٢- تطبيق النظرية البنيوية على بحث "السرقة كمشكلة اجتماعية":

تساعدنا النظرية البنيوية على فهم واستيعاب العوامل البنيوية الموضوعية منها والذاتية المسؤولة عن جريمة السرقة. فهذه العوامل هي التي تدفع الأفراد إلى نهب أموال الغير والاستحواذ عليها بطريقة غير مشروعة وغير قانونية. ونعني بالعوامل البنيوية للسرقة عوامل الوسط الاجتماعي أو المحيط، والتي منها الفقر والحاجة الاقتصادية والعوز المادي وسوء التنشئة الاجتماعية، والتأثير السيئ للجماعات المرجعية أو المؤسسية التي ينتمي إليها الفرد ويتفاعل معها، ووسائل الإعلام الجماهيري وآثارها السلبية في الأفراد والجماعات التي تستعملها، وضعف وهشاشة وسائل الضبط الاجتماعي لا سيما الرسمية منها كقوات الأمن والشرطة والمحاكم ودوائر العدالة الجنائية... إلخ.

إضافة إلى ضعف القيم وتحلل الأخلاق وضعف الدين في نفوس الأفراد والجماعات وتفشي الأمراض والعلل الاجتماعية والنفسية، مع ارتباك الظروف التي يعيشها المجتمع. ناهيك عن اضطراب الشخصية وتصدع عناصرها البنيوية وسوء تكيفها للمجتمع أو المحيط الذي تعيش فيه وتتفاعل معه.

جميع هذه العوامل البنيوية التي يكون مصدرها الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد هي التي تدفعه إلى السرقة والاستحواذ على أموال وممتلكات الغير بطريقة غير مشروعة تبعد كل البعد عن القانون والشرع والأخلاق.

ب- النظرية البنيوية الوظيفية[1]:

يمكن تطبيق النظرية البنيوية الوظيفية على ثلاثة أبحاث هي:

١- جرائم النساء.

٢- جنوح الأحداث.

٣- العلاقة الإنسانية بين المريض والطبيب.

---

(١) الملاحظة السابقة ذاتها.

١- تطبيق البنيوية الوظيفية على بحث جرائم النساء:

يمكن دراسة الدوافع الأساسية لجرائم النساء بدوافع بنيوية ووظيفية داخلية وخارجية. فالدوافع الداخلية لجرائم النساء تكمن في الظروف والمعطيات الداخلية للمرأة التي ارتكبت الفعل الإجرامي. فالمرأة قد تعيش في أسرة مضطربة أو مفككة تتسم بعدم التوازن بين أجزائها، والمرأة قد لا تربطها علاقة حميمة مع زوجها وأن أولادها يعيشون في حالة ضياع، وأنها تعاني من الفقر والحرمان المادي، وأن علاقتها بأقاربها ضعيفة أو مفككة، وأن قيمها ومبادئها السلوكية متصدعة... إلخ. جميع هذه العوامل الداخلية تدفعها إلى الجريمة والانحراف. وتعيش ظروفاً خارجية تتمثل في شيوع الجريمة والفساد في أرجاء المجتمع، مع هشاشة أو تناقض الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المؤثرة في المجتمع. جميع هذه الأوضاع البنيوية الخارجية تدفع المرأة إلى الانحراف والجنوح.

أما وظائف الفعل الإجرامي الذي تقوم به النساء فهي نتائج الفعل وانعكاساته على المجتمع، فالجنوح يعرض المجتمع إلى الاضطراب وفقدان الثقة وضياع الأمن الاجتماعي وتصدع القيم والمقاييس. بمعنى آخر أن الوظائف تكون هدامة للبناء الاجتماعي وهدامة للفرد الذي ارتكب السلوك الجانح أو الشاذ أيضاً، فنتائج السلوك الإجرامي على المرأة نفسها كثيرة منها اضطراب نظامها القيمي والأخلاقي والسلوكي وتوليد عقدة الذنب عندها التي تؤثر في توازن شخصيتها وتكييفها للمحيط. إضافة إلى ظهور الدوافع الإجرامية عندها التي تدفعها إلى ارتكاب المزيد من الجرائم والأعمال المنكرة.

٢- تطبيق نظرية البنيوية الوظيفية على بحث جنوح الأحداث:

يمكن دراسة مشكلة جنوح الأحداث عن طريق تفسيرات النظرية البنيوية الوظيفية. وتنطلق دراسة البنيوية الوظيفية لجنوح الأحداث من عوامل بنيوية داخلية ومن عوامل بنيوية خارجية محيطة بالأحداث الجانحين. أما وظائف الفعل أو السلوك الجانح عند

الأحـداث فهي وظائف هدامـة ومضرة بالأحداث أنفسهم وبالمجتمـع الكبير الذي يعيش فيـه الأحداث الجانحون. فالعوامل البنيوية الداخلية التي تدفع الأحداث إلى الجنوح هي اضطراب الحيـاة الأسرية للأحداث وسوء أو تلكؤ تنشئتهم الاجتماعية وتراجع أو تخلف قيمهـم الاجتماعية مع تصـدع شخصياتهم ومعاناتهم من الأمراض النفسية والعقلية. هذه العوامل البنيوية الداخلية، تكـون سبباً مهماً لارتكابهم الأفعال الجانحة والمنحرفة. أمـا العوامل البنيويـة الخارجية لجنوح الأحداث فهي سوء الحالـة الاقتصادية للمجتمع وطبيعـة الجماعـات المرجعيـة التي يختلطـون معها وبخاصـة المدرسة ووسائـل الأعلام وجماعة اللعب والطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها والأحداث الخارجية المأساوية التي يتعرض لها مجتمعهم كالحصار الاقتصادي الظالم ومخلفات العدوان والحرب. إضافة إلى ضعف وسائل الضبط الاجتماعي الداخلية منها والخارجية مع عامل التقليد والمحاكاة الاجتماعيـة عند الأحداث. والعامل الأخير يدفع بالعديد من الأحداث إلى تقليد السلوك المنحـرف للأحداث الآخرين. جميع هذه العوامـل تفسر السلوك الجانح للأحداث، علماً بأن هذه العوامل سواء كانت عوامل داخلية أو خارجية هي عوامل بنيوية ترجع إلى ظروف ومعطيات البناء الاجتماعي التي يعيشها الأحداث في المجتمع.

ومـن جهـة ثانية نلاحـظ أن وظائف السلوك الجانـح أو المنحرف عنـد الحدث هي النتائـج السلبيـة والهدامة التي يتمخض عنها السلـوك. فالأفعال المنحرفـة للأحداث تسبب انحرافهم وخروجهم عن الخط السوي الذي يرتضيه المجتمع وتنتج في تلكؤ قيمهم وتطبيعهـم على ارتكاب الفعـل المشين الذي يدينه المجتمع ويسخـط عليه. كما أنها تؤدي إلى فقدان القـوى البشرية الجديدة والمنتفعة التي يمتلكها المجتمع. إضافة إلى أن جنوح الأحـداث يسبب انتشار حالة القلق والتوتر والحـيرة الاجتماعية وفقدان الثقة والأمل في المجتمع ممـا يعكر مسيرته الحضارية والتنموية الآنية والمستقبلية. كل هذه المساوئ التي تحملهـا مشكلة جنـوح الأحداث تسيء إلى البناء الاجتماعي وتحـول العوامل البنوية إلى قوى هدامة لا تساعد على استقرار وطمأنينة الأحداث في المجتمع.

٣- تطبيق نظرية البنيوية الوظيفية على بحث العلاقة بين المريض والطبيب:

لو فرضنا أن العلاقة الاجتماعية بين المريض والطبيب هي علاقة سلبية مبنية على الأحقاد والشكوك والعداوة والبغضاء، إذ إن المريض لا يثق بالطبيب وإن الأخير لا يرغب في معالجة المريض وتخليصه من مرضه وآلامه ومشكلاته، فكيف نستطيع تفسير مثل هذه العلاقة السلبية تفسيراً بنيوياً وظيفياً؟ إن التفسير الاجتماعي لمثل هذه العلاقة يعتمد على العوامل البنيوية الداخلية والخارجية المحيطة بكل من المريض والطبيب. فالعوامل البنيوية الداخلية المحيطة بالمريض التي تجعله غير ميال نحو تكوين العلاقة الطيبة مع الطبيب هي أن المريض يعاني من مشكلة الفقر والحرمان المادي التي تجعله غير قادر على دفع الأموال للطبيب وأن المريض يعتقد أن الطبيب هو رجل مادي بحت يبني علاقته مع المريض على اعتبارات مادية صرفة. إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية الصعبة التي يعيشها المريض ممزوجة مع معاناته وآلامه نتيجة للمرض الذي يعاني منه والذي يسبب له القلق والخوف وشعور عدم ضمان المستقبل. أما العوامل الخارجية المحيطة بالمريض التي تسيء إلى علاقته بالطبيب فهي الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يمر بها المجتمع نتيجة للحصار وقلة الأدوية والأغذية وكثرة مطاليب أسرة المريض.

في حين يعاني الطبيب من عوامل بنيوية داخلية وخارجية تسبب ضعف علاقته بالمريض وقلة اهتمامه به. فمن الظروف البنيوية السلبية الداخلية للطبيب قلة راتبه الشهري وكثرة المرضى المراجعين لعيادته وصعوبة ظروفه الاجتماعية والثقافية وقلة فرص الترقية والترفيع. بينما العوامل البنيوية السلبية الخارجية التي يعيشها الطبيب تتمثل في المعوقات الاجتماعية والاقتصادية وقلة أو انعدام التسهيلات العلمية والثقافية المتاحة للطبيب وسلبية ظروف العمل ومعطياته وشدة المنافسة بين الأطباء...إلخ. هذه العوامل البنيوية الداخلية والخارجية التي يعاني منها المرضى والأطباء تسبب ضعف وتلكؤ العلاقة التي تربطهم.

أمـا التفسير الوظيفي للعلاقة السلبيـة بين المرضى والأطباء، فهـي النتائج السلبية والهدامـة التي تتمخض عـن مثل هذه العلاقة. وهـذه النتائج تسـيء إلى المرضى، إذ لا تمكنهم من بلوغ الشفاء المطلوب والتحرر من معاناة المرض وآلامه، ومن ثم ضعف قدرته في العمـل وعجـزه عن التكيـف للمجتمع. بينما نتائـج العلاقة السلبية علـى الأطباء أنها تسـيء إلى سمعتهم وتعيـق حركتهم وفاعليتهم في المجتمع، وتجعلهـم مصدر شك وريبة عند الأفراد والجماعات مما لا يخدم الأهداف الصحيحة للمجتمع مطلقاً.

ج- النظرية التفاعلية[1]:

يمكن تطبيق النظرية التفاعلية على الموضوعات الاجتماعية الآتية:

١- تطبيق النظرية التفاعلية على العلاقة غير الرسمية بين الطلبة:

تعتقـد النظريـة التفاعلية أن المجتمع المحلـي أو الكبير يتكون مـن عدد غير محدود مـن العلاقات والتفاعـلات الاجتماعية التي تأخـذ مكانها في التجمعـات الصغيرة التي تمارسـ نشاطاً معيناً كأن تكـون الدراسة أو التحصيل العلمـي أو البيع والشراء أو المهام الإنتاجيـة... إلـخ. فالتجمع الصغير قد يأخذ مكانه في صـف دراسي يتكون من عدد من الطلبـة، والاختلاط هنا لا يكون بين الطالب وبقية طلبـة الصف بل بين طالب ومجموعة مـن الطلبـة التي يتراوح عددها بـين ٤ إلى ٧ طلبة. ويعد تفاعـل المجموعة الصغيرة من الطلبـة تفاعلاً غـير رسمي لمدة من الزمن قد تكون شهراً أو أكـثر أو أقل يقوم كل طالب بتقييم زميله الطالب الذي تفاعل واختلط معه اختلاطاً غير رسمي.

نفترضـ أن أحد طلبـة المجموعة قد قيم تقييمـاً إيجابياً من قبـل أعضاء المجموعة كأن قُيـم صادقـاً وأمينـاً فإن هذا التقييـم سرعان ما يسري بـين الجماعات الأخرى في المدرسـة، وقد يخرج عن نطاق المدرسـة، إلى الجماعات الأخرى فيصل التقييم بالنهاية إلى الفـرد علـى أنه إنسان جيد تقييماً إيجابياً يشجعه علـى الاستمرار بالصدق والأمانة وحفظ المواعيد، فهو يرى نفسه في مرآة المجتمع الطلابي الذي منحه ذلك التقييم.

---

(١) الملاحظة السابقة ذاتها.

أمـا إذا كان التقييـم معكوسـاً كأن يقيـم الطلبة الطالـب المذكور في المثـال على أنه كاذب وغـير أمين وبعيد عن حفظ المواعيد مـع النـاس، فإن التقييم سرعان ما ينتقل إلى أسماع الشخص المعني. وفي هذه الحالة تكون ردود أفعاله إزاء التقييم في إحدى الحالات الآتية:

١- قبـول الفرد المقيّـم هذا التقييم بوصفه حقيقة ثابتة والاستسـلام له دون معارضة أو مقاومة.

٢- استفادتـه من هـذا التقييم، إذ يعمل على إصلاح نفسه وتجـاوز أخطائه والسير على وفـق ما يريده المجتمع منـه من قيم ومبادئ وممارسات أمـلاً في أن يكون مقبولاً من الآخرين مستقبلاً ويحظى بتقييمهم الإيجابي.

٣- قيـام الفـرد برفض هـذا التقييم السلبي الـذي أصدره المجتمع عنـه متهماً الآخرين بالتحيـز والنفاق والكـذب والتزوير مع شـن الهجمات على مصـدر التقييم السلبي. وهذا لا بد أن يسبب له العزلة الاجتماعية مع تصلب المجتمع في مواقفه السلبية نحوه مـع ترسيم الصورة الذهنية السلبية التـي يحملها المجتمع إزاءه. وهنا تتحول علاقته مـع الجهة التي قيمته سلبياً إلى علاقات عدائية قائمة على الشك والبغضاء والعداوة والانتقام.

٢- تطبيق النظرية التفاعلية على العلاقة بين الطبيب والمريض:

يمكن تطبيق النظرية التفاعلية على العلاقة الإنسانية التي تربط الطبيب بالمريض. فبعـد التفاعـل الذي يحـدث بين الطبيـب والمريض والـذي يستغرق وقتاً مـن الزمن قد يـتراوح بين شهر إلى شهرين يبدأ الطبيب بتقييم المريـض، والتقييم قد يكون إيجابياً أو سلبيـاً اعتماداً على طبيعة العلاقة التفاعلية التي كانـت موجودة بين الجانبين. والتقييم الـذي يحمله الطبيب نحو المريض سرعان ما ينتشر إلى أبناء المجتمع، فيؤثر في تقييمهم للمريـض. وعندما يصـل التقييم للمريـض، والتقييم نفترض أنه إيجابـي، فهو يؤثر في

تقييم المريض نفسه، لأن تقييم الفرد لنفسه يتأثر بتقييم الآخرين له، أي النظر لذاته في المرآة، والمرآة هي المجتمع.

أما إذا كان التقييم سلبياً وأن التقييم يصل إلى المريض بعد أن ينتشر في المجتمع الذي يعيش فيه كل من الطبيب والمريض فإن الأخير يتخذ أحد المواقف الثلاثة وهي:

أ- أن يقبل التقييم كما هو أي يقبل تقييم الطبيب له على أنه كذاب وبخيل ومشاكس مثلاً بعد أن انتشر التقييم في أرجاء المجتمع.

ب- أن يعيد النظر في مسيرته ويصحح سماته الشخصية والسلوكية وعلاقته مع الآخرين. على أنه تقييم مغرض وكاذب ومزور، وأن يهاجم الجهة أو الطرف الذي نسب التقييم إليه زوراً وبهتاناً ويتهمه بالكذب والدس والنفاق والافتراء والتعصب. وحالة كهذه قد تسبب عزلة المريض عن المجتمع وتأزم علاقته الاجتماعية معه وتحولها إلى علاقات قائمة على الريبة والشك والعداوة والبغضاء والانتقام مما ينتج عن ذلك سوء تكييف المريض في المجتمع وتدهور حالته الصحية وربما وفاته.

د- النظرية التفاعلية الرمزية[1]:

يمكن تطبيق التفاعلية الرمزية على العديد من الموضوعات الاجتماعية التي تصلح أن تكون مشاريع للأبحاث الاجتماعية كالعلاقة بين الزوج والزوجة والعلاقة بين القاضي والمتهم. يمكننا تطبيق مبادئ التفاعلية الرمزية على هذين الموضوعين.

١- تطبيق مبادئ التفاعلية الرمزية على واقع العلاقة بين الزوج والزوجة:

تفسر التفاعلية الرمزية العلاقة بين الزوج والزوجة وفقاً للخطوات التي تمر خلالها هذه النظرية عند تطبيقها. وهذه الخطوات هي:

---

(١) الملاحظة السابقة ذاتها.

١-١ يتـم التفاعـل والاتصال بـين الزوج والزوجة مـدة تتراوح بين أسبـوع وسنة، بحيث يتعرف تماماً كل طرف على الطرف الآخر.

١-٢ بعـد الانتهـاء من التفاعل الذي يستغرق مدة من الزمـن يبدأ كل طرف من أطراف العلاقـة بتكويـن صورة انطباعية أو صورة ذهنيـة أو رمزية عن الطرف الآخر، وهذه الصـورة الرمزية لم تتكون إلا بعد تجريـب كل طرف للطرف الآخر والتعرف على كل ما يحمله ذلك الطرف من سمات وخواص.

١-٣ يكون التفاعل عبر اللغة والاتصال ومن خلال ذوات الأشخاص المتفاعلين.

١-٤ الصـورة الرمزيـة التي يكونها كل طرف إزاء الطرف الآخر تحول الطرف إلى رمز، وهذا الرمز قد يكون مرغوباً فيه أو غير مرغوب.

١-٥ عندما يصل تقييم أحد الأفراد إلى الفرد الآخر والتقييم هو رمزي كأن يُقيم الفرد على أنه الثرثار أو الأخرس أو الأطرش أو الكذاب فإن الفرد المعني يقيم نفسه بالتقييم الذي قيمه به الآخرون، أي أن تقييم الفرد لذاته هو من تقييم الآخرين له.

١-٦ إذا كان التقييم الرمزي إيجابياً فإن التفاعل بين الأفراد يستمر، أما إذا كان التقييم سلبياً فإن التفاعل يتعثر أو ينقطع كلية.

١-٧ التقييـم الرمزي هـو عملية ذات وجهين، فالزوج قد يعطي رمزاً إيجابياً لزوجته، إذ يعتبرهـا وردة، وعند وصول التقييم لها فإنها تقيـم نفسها بموجب تقييم زوجها لها. كما أنها تقيم زوجها برمز إيجابي كأن تسميه الشجاع أو الصادق. ومثل هذا التقييم يؤثر في الاعتبار الذي يعطيه الزوج لذاته. مما يعمق العلاقة بين الزوجين ويؤدي إلى استمراريتها.

٢- تطبيق مبادئ التفاعلية الرمزية على العلاقة بين القاضي والمتهم:

يمكن تفسير العلاقة بين القاضي والمتهم عن طريق التفاعلية الرمزية بقصد فهمها

واستيعاب جوانبها ومعرفة أسباب استمراريتها وتعميقها. وهذه العلاقة تمر بالمراحل الآتية:

٢-١ يتفاعل القاضي مع المتهم عن طريق طرح الأسئلة والاستفسارات والاستجوابات والفعل ورد الفعل بينهما مدة تتراوح بين أسبوع إلى سنة.

٢-٢ بعد الانتهاء من عملية التفاعل بين الاثنين يبادر كل طرف من أطراف التفاعل إلى تكوين انطباع أو صورة رمزية عن الطرف الآخر، وهذه الصورة الرمزية تكون انطباعية أكثر مما تكون حقيقية، أي أنها أقرب ما تكون إلى الخيال مما تكون إلى الحقيقة.

٢-٣ الصورة الانطباعية أو الرمز الذي ينعته كل طرف نحو الطرف الآخر قد يكون إيجابياً أو سلبياً.

٢-٤ يذهب التقييم الانطباعي أو الرمزي إلى الشخص المقيم عن طريق اللغة والاتصال، فإذا كان إيجابياً كأن يكون القدوة أو البطل فإن التقييم هذا يؤثر في تقييم الفرد لذاته، إذ يقيّم ذاته تقييماً إيجابياً. بينما إذا كان التقييم سلبياً كأن يكون غبياً أو كسولاً فإن التقييم الرمزي يصل إلى الفرد، فيقيّم الأخير نفسه تقييماً سلبياً.

٢-٥ إن الرمز الإيجابي الذي يصل الفرد يسبب استمرارية وتعميق التفاعل معه، بينما الرمز السلبي الذي يصل الفرد يسبب قطع التفاعل أو جفاءه. وهكذا نلاحظ أن الانطباع الرمزي الإيجابي الذي يتولد عند الفرد إنما ينتج في استمراريته وتعميق التفاعل الرمزي، بينما الانطباع الرمزي السلبي يسبب قطع التفاعل بين الفرد المقيم والفرد الذي قيمه. فإذا كان القاضي يمنح رمز العادل أو المحق فإنه يقيّم نفسه عادلاً ومحقاً، ومن ثم تقوى وتعزز العلاقة أو التفاعل بين المقيم (القاضي) والشخص الذي قيمه المتهم. والعكس هو الصحيح إذا كان الرمز سلبياً كأن يقيم القاضي فاسداً وباغياً، فالتقييم يصل إليه، لذا فإنه يقيم ذاته تقييماً سلبياً. وهنا يقل أو ينعدم التفاعل بين المقيِّم والمُقيَّم.

المبحث الثاني

مرحلة الإجراءات المنهجية

تشمل مرحلة الإجراءات المنهجية إعداد الخطوات الآتية:

أولاً: نوع الدراسة Type of Study

يجب على الباحث عند القيام بتصميم البحث الاجتماعي تحديد نوع الدراسة التي يقوم بها، إذ إن هناك أنواعاً مختلفة من الدراسات الاجتماعية، مثل:

أ- الدراسات الاستطلاعية أو الاستكشافية.

ب- الدراسات الوصفية.

ج- الدراسات التجريبية / الاختبارية.

"ويتحدد نوع الدراسة على أساس مستوى المعلومات المتوافرة لدى الباحث، وعلى أساس الهدف الرئيس للبحث. فإذا كان ميدان الدراسة جديداً لم يطرقه أحد من قبل اضطر الباحث إلى القيام بدراسة استطلاعية (استكشافية) تهدف أساساً إلى استطلاع الظروف المحيطة بالظاهرة التي يرغب في دراستها، والتعرف على أهم الفروض التي يمكن إخضاعها للبحث العلمي الدقيق، أو ليتمكن من صياغة المشكلة صياغة دقيقة تمهيداً لبحثها بحثاً متعمقاً في مرحلة تالية. وإذا كان الموضوع محدداً عن طريق بعض الدراسات التي سبق إجراؤها في الميدان أمكن القيام بدراسة وصفية تهدف إلى تقرير خصائص الظاهرة وتحديدها تحديداً كيفياً أو كمياً. وإذا كان الميدان أكثر تحديداً ودقة، استطاع الباحث أن ينتقل إلى مرحلة ثالثة من مراحل البحث، فيقوم بدراسة تجريبية للتحقق من صحة بعض الفروض العلمية"[1].

(١) د/ عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٢م.

ثانياً: الفروض والتساؤلات[1] Hypotheses and Questions:

يعرف الفرض بأنه عبارة تصف العلاقة المتوقعة بين متغيرين أو أكثر، وأن تلك العلاقة قابلة للاختبار التجريبي. ومن ثم نرى أنه بينما تحرص الأهداف النهائية على عرض الإنجازات المتوقعة من الدراسة تحرص الأهداف الفورية على عرض ما سيحدث مقاساً في صورة سلوكية، نجد أن الفروض تقوم بتحديد العلاقة المتوقعة بين المتغيرات. واستخدام الفروض يتناسب أكثر في الدراسات التقييمية، ودراسات التدخل الميدانية. أما دراسات التشخيص أو الاستكشاف فهي بطبيعتها لا تتطلب وجود فروض، لأنها لا تختبر العلاقات بين المتغيرات[2].

ودراسة الفروض تعمل على توجيه البحث الوجهة السليمة، حيث تشير إلى المتغيرات المستقلة (المتغيرات التي تسبب أو متغيرات الأسباب) والمتغيرات التابعة التي تتبع المتغيرات المستقلة (متغيرات النتائج). إضافة إلى أنها تقترح نوع البيانات المطلوبة والتحليل اللازمة لدراسة العلاقة بين المتغيرات.

فقد يتضمن فرض ما أن المتغير (آ) يرتبط بالمتغير (ب) أو أن المتغير (آ) يسبب المتغير (ب)، كما يوضح الفرض أحياناً أن المتغير (آ) يرتبط بالمتغير (ب) أو يسبب المتغير (ب)، وذلك بشرط توافر ظروف معينة. وهكذا فإن الفرض الجيد الصياغة يركز انتباه الباحث على متغيرات محددة.

ومن المهم عند صياغة فرض ما أن نأخذ في الحسبان الفرق بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة. فالمتغير المستقل يسبب أو يحدد أو يؤثر على المتغير التابع. والعلاقة بين هذين النوعين من المتغيرات قد تكون علاقة مباشرة، كما يتضح ذلك من خلال الشكل الآتي:

---

(١) تعتمد بعض الدراسات الاجتماعية التساؤلات بدلاً من الفروض وهنا تحول أهداف الدراسة إلى أسئلة عامة يمكن أن تتجسد عنها أسئلة ثانوية (فرعية) وغالباً ما تستخدم التساؤلات في الدراسات الاستطلاعية.

(٢) راجع فقرات بحوث العمليات (الفصل الأول: المصطلحات العلمية).

المتغيرات المستقلة	تسبب أو تحدد	المتغيرات
	أو تؤثر على	الثابتة

"يوضح هذا الشكل وجود علاقة مباشرة بين المتغيرات المستقلة والتابعة".

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن المتغير المستقل يؤثر على المتغير التابع من خلال المتغيرات الوسيطة (المتداخلة) التي تعرف بأنها متغيرات اختبارية أو تحكيمية وفق النموذج الآتي:

	المتغيرات الوسطية	
تؤثر وتعمل من خلال المتغيرات المستقلة		تسبب أو تحدد أو تؤثر على المتغيرات الثابتة

وتقوم معظم الأبحاث باختبار العديد من المتغيرات المستقلة والوسطية، ولكنها عادة ما تختبر قليلاً من المتغيرات التابعة. وعند صياغة الفروض فكر دائماً في العلاقة المتوقعة بين المتغيرات، ابدأ بالتفكير في المشكلة الأساسية التي سيطرحها البحث (المتغير التابع)، ثم العامل أو العوامل (المتغيرات المستقلة) التي قد تسبب أو تحدد أو تؤثر على المشكلة. وأخيراً يجب التساؤل عما إذا كانت العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة علاقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك من خلال مجموعة متغيرات وسطية.

والمتغير مفهوم تجريبي يتضمن قيمة واحدة أو أكثر.

مثلاً: متغير الدخل يشمل: دخلاً مرتفعاً (عالياً)، دخلاً متوسطاً، دخلاً منخفضاً. ومتغير الطبقة الاجتماعية، ويشمل قيم: الثرية، الوسطى، الفقيرة، ومتغير الجنس، ويشمل قيم: الذكر والأنثى.

وهناك شروط عدة لا بد من وضعها في الحسبان عند صياغة الفرض هي:

١- أن يعكس علاقة سببية ذات حدوث مستمر في المجتمع، فهي لا تحدث بالمصادفة، وتحدث بشكل متكرر إذا ما أخضعت للظروف ذاتها.

٢- أن يمثل ظواهر اجتماعية، وليست فردية، ويصاغ على شكل توقعات يمكن أن تحدث.

٣- يجب أن يتضمن قيماً تفسيرية بشكل واضح، أي يفسر الحالات المرتبطة به.

٤- يجب أن يكون خالياً من التناقض وواضحاً ودقيقاً ومحدداً.

٥- يجب أن تكون صياغة الفرض منطقية منسجمة لا تحمل معنيين وقابلة للاختبار.

٦- ألا يكون الفرض مركباً من عدة عوامل مسببة لنتيجة واحدة، أو عدة نتائج، بل يفضل أن يتضمن علاقة سببية بين سبب واحد، ونتيجة واحدة ترتبط بالسبب.

٧- يجب أن تكون الفروض متناسبة مع الحقائق المعروفة السابقة التي ثبتت صحتها وصدقها.

ونشير أيضاً إلى أن الدراسة أو المشكلة عند صياغة فروضها يجب أن تتضمن فروضاً عدة، ولعل هذه الفروض ترتبط بشكل منطقي وعلمي بأهداف الدراسة، لذلك على الباحث عن تحديد الفروض العلمية أن يحدد كل الفروض التي يرى أنها ترتبط بتفسير المشكلة المدروسة وتشخيصها.

فعلى سبيل المثال: إذا أراد الباحث أن يضع فروضاً تتعلق بدراسة: (أسباب تفكك الأسرة) فليحدد فروضه على النحو الآتي:

الفرض الأول: إن زواج الرجل لأكثر من زوجة في آن واحد قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرض الثاني: إن خروج الزوجين إلى العمل قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرض الثالث: إن كثرة الخلافات الأسرية بين الزوجين قد تؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرض الرابع: إن عدم كفاية دخل الأسرة لمصروفاتها المختلفة قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرض الخامس: إن وفاة الزوجة قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرص السادس: إن وفاة الزوج قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

الفرض السابع: إن إدمان الزوج على المسكرات قد يؤدي إلى التفكك الأسري.

أمثلة لفروض بحث أسباب مشكلة المخدرات في المجتمع:

الفرض الأول: إن مجاراة أصدقاء السوء قد تؤدي إلى تعاطي المخدرات.

الفرض الثاني: إن الرغبة في التقليد قد تؤدي إلى تعاطي المخدرات.

الفرض الثالث: إن الحاجة لتخفيف المشكلات الخاصة والعامة قد تؤدي إلى تعاطي المخدرات.

الفرض الرابع: إن الرغبة في محاولة اكتشاف اللذة الخاصة بتعاطي المخدرات قد تؤدي إلى تعاطي المخدرات.

أمثلة لفروض حول وسائل تنظيم الأسرة:

الفرض الأول: إن نسبة استخدام وسائل تنظيم الأسرة في القرى المتحضرة نوعاً ما ستكون أعلى من مثيلتها في القرى الأقل تحضراً.

الفرض الثاني: إن استخدام وسائل تنظيم الأسرة في القرى التي تضم عاملين ميدانيين موثوق بهم سيكون أكثر من تلك القرى التي تضم عاملين ميدانيين غير موثوق بهم.

الفرض الثالث: كلما ارتفع أداء العاملين الميدانيين ارتفعت نسبة الإقبال على استخدام وسائل تنظيم الأسرة.

الفرض الرابع: كلما ازدادت معرفة الناس ببرامج تنظيم الأسرة ازداد ميلهم إلى استخدام وسائل تنظيم الأسرة بالمقارنة بالأفراد الأقل معرفة بتنظيم الأسرة.

ويمكن تحديد الفروض بطرق أو صيغ عدة أهمها:

الصيغة الخبرية: التي تقرر العلاقة بين المتغيرات التي يتوقع الباحث ظهورها.

مثال: يوجد فرق كبير بين العمال متوسطي القدرة على العمل وسط مجموعة متجانسة من ذوي القدرة العالية، وبين إنتاجهم وسط مجموعة غير متجانسة في القدرة على العمل.

طريقة الفرض الصفري: وهي طريقة تنفي وجود علاقة بين المتغيرات.

مثال:

المثال السابق في حالة النفي.

ويستخدم الفرض الصفري في الدراسات الاجتماعية لتقرير عدم وجود فروق أو نفي وجود علاقة بين المتغيرات. وهذا قد يسبب أحياناً بعض الحيرة للباحثين.

إذ قد يبدو لهم أن الفرض الصفري يتطلب منهم وضع فروض عكسية لتوقعاتهم. وكثير من الباحثين قد يفضل وضع فروضه في صورة إيجابية، وليست سلبية أو عكسية.

طريقة السؤال: يمكن صياغة الفروض أيضاً بطريقة الأسئلة، ويمكن أن نسوق المثال الآتي:

مثال:

هل توجد فروق بين العمال متوسطي القدرة على العمل وسط مجموعة متجانسة من ذوي القدرة العالية وبين إنتاجهم وسط مجموعة غير متجانسة في القدرة على العمل.

وهذه الطريقة من صياغة الفروض سهلة وتناسب الباحثين المبتدئين، لأنها لا تتطلب أكثر من صياغة الأسئلة التي سيجيب عنها الباحث.

وعند صياغة الفروض يجب ألا يبدأ الباحث في صياغة فروضه ألا بعد أن يرجع الدراسات والكتابات السابقة في الموضوع الذي ينوي دراسته.

وعند اعتماد التساؤلات بدلاً من الفروض (في الدراسات الوصفية أحياناً)، تطرح الأهداف بوصفها تساؤلات على الدراسة، وتكون نتائجها الإجابة عن هذه التساؤلات.

ثالثاً: التعريفات العملية: Operational Definiations

بعد الانتهاء من صياغة فروض الدراسة، فإن الخطوة المقبلة هي تعريف المصطلحات والمتغيرات (الرئيسة) التي تتضمنها الدراسة تعريفاً عملياً. وتخدم التعريفات العملية غرضين أساسيين هما:

الهدف الأول: وضع القواعد والإجراءات التي سيستخدمها الباحث لقياس متغيرات البحث.

الهدف الثاني: تقديم معانٍ واضحة وغير غامضة للمصطلحات التي يمكن أن تفسر بطرق مختلفة.

ومن ثم، فإن كل بحث يجب أن يتضمن التعريفات العملية لمعظم المتغيرات والمصطلحات المستخدمة فيه.

أ- التعريفات العملية للمتغيرات: Operational Definitions of Variables

أي أن نوضح عملياً ماذا نعني بالمتغيرات الموجودة في الفروض. فإذا افترضنا أن المتغير التابع في دراسة ما، هو (تعاطي المخدرات)، فمن الضروري قبل البدء بقياس هذا المتغير تحديد الطرق العملية التي ستستخدم للقياس، وفي الوقت نفسه تعريف ماذا

يقصد الباحث بمصطلح (تعاطي المخدرات). ويجب أن يعرف المتغير بأحداث يمكن ملاحظتها بالحواس. فإن الأحداث القابلة للملاحظة تكون بمنزلة مؤشر لمتغير (تعاطي المخدرات).

مثال توضيحي:

المتغير التابع هو (المعرفة بثقافة ترشيد الاستهلاك). المطلوب هنا وجود حدث قابل للملاحظة يشير إلى المعرفة. عادة ما يكون هذا المؤشر قائماً على مجموعة من الأسئلة، مثل:

١- هل سبق السماع بترشيد الاستهلاك؟

٢- هل تمت المشاركة في ورشة عمل حول ترشيد الاستهلاك؟

٣- هل تمت قراءة مقال / نشرة... إلخ حول ترشيد الاستهلاك؟

٤- هل تمت مشاهدة دعاية تليفزيونية حول ترشيد الاستهلاك؟

إن كل سؤال من هذه الأسئلة يعطي مؤشراً عما إذا كان المبحوث على دراية بجوانب ثقافة الاستهلاك أم لا. ولهذا يعد توجيه السؤال وسماع إجابته في حد ذاته حدثاً يمكن ملاحظته وقياسه.

والباحث يمكن أن يوجه للمبحوث (٢٠) سؤالاً عن المعرفة، وفي كل مرة يعطي للمبحوث إجابة تدل على المعرفة يضع الباحث رقم (١) أما إذا كانت الإجابة لا تدل على المعرفة فيضع الباحث أمامها (صفر). وعن طريق جمع الإجابات السليمة يمكن تحديد مدى معرفة المبحوث، وبهذا يمكن تعريف متغير المعرفة بثقافة ترشيد الاستهلاك تعريفاً عملياً كالآتي:

المعرفة بثقافة ترشيد الاستهلاك = عدد الإجابات الصحيحة التي يجيب عنها المبحوث من خلال (٢٠) سؤالاً عن ثقافة ترشيد الاستهلاك.

وهـذا بالطبع ليس الأسلوب الوحيد لتعريف المتغير عملياً. بل يمكن استخدام أسلوب آخـر عن طريق تقسيـم المعرفة بثقافة ترشيـد الاستهلاك إلى فئات وذلـك للتمييز بين المبحوثـين ذوي المعرفة العالية ومتوسطي المعرفـة وقليلي المعرفة والذين لا يعرفون شيئاً. وبهـذا نجد أن كل مستوى يمثـل فئة للمتغير يجب أن يعرف عملياً، ويمكن تعريف الفئات عملياً كالآتي:

١- مستوى عالٍ من المعرفة = ١٥- ٢٠ إجابة صحيحة.

٢- مستوى متوسط من المعرفة = ٨-١٤ إجابة صحيحة.

٣- مستوى ضعيف من المعرفة = ١-٧ إجابات صحيحة.

٤- ليس لديهم أي معرفة = إجابات سلبية للعشرين سؤالاً.

مثال لتعريف متغير الإدمان على المخدرات:

الإدمـان على المخدرات = عـدد الإجابات الصحيحة التي يجيـب عنها المبحوث من خلال (٢٠) سؤالاً عن الإدمان على المخدرات.

ب- التعريفات العملية للمصطلحات Operational Definiations Of Terms

وبالرجـوع إلى مـا سبـق أن ذكرناه مـن أن الفرض هو توضيح العلاقـة المتوقعة بين متغيريـن أو أكـثر، نـرى أنه مـن الضـروري تعريـف المتغـيرات عملياً، وكذلـك تعريف المصطلحـات التـي تشـير إلى طبيعة العلاقة بينهمـا. وعلى سبيل المثال، فـإن كثيراً من الفروض تتضمن مصطلحات كالمصطلحات الآتية:

أكـثر من، أوسع من، أصغر من، أعلى من، منخفض عن، له دلالة، متزايد، يتحسن، يزداد، ينخفض... إلخ.

ومـن الملاحظ أن كل مصطلح من هـذه المصطلحات له معنى مختلف، ولهذا السبب يجب أن يتضمن البحث تعريفاً عملياً لكل مصطلح.

وهناك طرق مختلفة لتحديد المفاهيم والمصطلحات من أهمها:

- **الطريقة المعجمية:** وتستند إلى ما يقوله المعجم أو القاموس في تحديد المصطلح أو المفهوم. وعادة ما يكون هذا التحديد على أساس لغوي. وهناك مبادئ عدة يمكن أن يستفيد منها الباحث في تحديد المفاهيم بالطريقة المعجمية أو اللغوية من أهمها أن يكون التعريف مانعاً جامعاً. كما يجب أن يتفادى البحث الغموض أو اللبس أو أن يفسر المفاهيم بكلمات من جنسها.
- **الطريقة الإجرائية:** وهي طريقة تحدد مقاييس معينة لوصف المفهوم أي وصف تفصيلي ومحدد لمكونات المفهوم، بحيث يمكن قياسها.

وهناك نوعان من التعريفات الإجرائية:

الأول: التعريف الإجرائي القياسي الذي يصف الطريقة التي يمكن بها قياس المتغير المراد قياسه.

الثاني: التعريف الإجرائي التجريبي، ويصف بالتفصيل الخطوات والعمليات التي يقوم بها الباحث في دراسة المتغير. ونشير إلى أن هذه الطريقة غالباً ما تستخدم في الدراسات التربوية التجريبية وقلما تستخدم في الدراسات الاجتماعية الميدانية.

أمثلة لمصطلحات معرفة عملياً:

القرية الحديثة:

أي قرية بها ثلاث أو أكثر من الخدمات الآتية: كهرباء، عيادة صحية حكومية، طريق ممهد بشكل مناسب، مدرسة ابتدائية، بنك، مكتب بريد، حدائق... إلخ.

الطريقة المعاصرة في الاختيار:

وتشمل التعارف والاختيار للطرف الآخر عن طريق الجماعة، الأصدقاء، زملاء العمل... إلخ.

الطريقة التقليدية في الاختيار:

أي أنها تتم عن طريق الأهل، الخاطبة، الأقارب والجيران... إلخ.

الخلاصة: ماذا نفعل عند كتابة التعريفات العملية؟

١- نكتب تعريفاً عملياً لكل متغير مستقل وكل متغير تابع من المتغيرات التي سنستخدمها في الدراسة.

٢- نكتب تعريفاً عملياً لكل مصطلح يستخدم في الربط بين المتغيرات.

٣- مع كل تعريف نطرح السؤالين الآتيين:

٣-١ هل القواعد والإجراءات الخاصة بقياس المتغير واضحة؟

٣-٢ هل تم وضع فئات جامعة مانعة لكل متغير؟

رابعاً: الطريقة العلمية Scientific Method

يقصد بالطريقة العلمية(١) الأداة المنهجية التي يعتمدها الباحث في البحث الاجتماعي، وهناك طرق منهجية عدة مثل الطريقة التاريخية، والمسح الاجتماعي، ودراسة الحالة، والتجريبية، والمقارنة...إلخ. وتعتمد الطريقة العلمية في البحث بالاستناد إلى موضوعه، فإذا كان الموضوع يبحث في قضايا ذات بعد تاريخي تستخدم الطريقة التاريخية، وعندما يكون الموضوع يتعلق بتحليل وثائق أو كتب تستخدم طريقة تحليل المضمون، وإذا كان الموضوع يبحث في معطيات مرحلتين زمنيتين مختلفتين أو متشابهتين فتستخدم طريقة المقارنة، وهكذا بالنسبة لطرائق البحث الأخرى.

---

(١) تستخدم لدى البعض بمعنى المنهج العلمي، فيقال: المنهج التاريخي، التجريبي، ومنهج دراسة الحالة ونحن نختلف مع هذا الاستخدام، لأن المنهج العلمي واحد في العلوم، والطرائق هي التي تختلف كما أن المنهج يحتوي الطريقة بوصفها أداة منهجية، وأدوات القياس، وجميع القواعد الأخرى التي تستخدم في البحث للوصول إلى نتائج.

وتجـدر الإشارة هنا عند استخدام الطريقة العلمية إلى أنه لا بد من عرض مختصر عنهـا (ما هي ولماذا تعتمد أي مـبررات اعتمادها). كما يمكن استخدام أكثر من طريقة منهجية في البحث الاجتماعي[1].

أمثلة لاستخدام الطريقة العلمية:

١- المثال الأول:

موضـوع الدراسـة: مفاهيم ثقافـة ترشيد الاستهـلاك في كتب المرحلـة المتوسطة/ الثانوية في المملكة العربية السعودية.

الطريقة العلمية: طريقة تحليل المضمون.

٢- المثال الثاني:

موضوع الدراسة: استطلاع رأي طالبات قسم الدراسات الاجتماعية في جامعة الملك سعود نحو ثقافة ترشيد الاستهلاك.

الطريقة العلمية: طريقة المسح الاجتماعي.

٣- المثال الثالث:

موضوع الدراسة: صورة ومكانة المرأة العربية قبل الفضائيات وبعدها.

الطريقـة العلمية: طريقة المقارنة ويمكن استخـدام طريقة تحليل المضمون إضافة إلى المقارنة وكذلك الطريقة التاريخية.

---

(١) للمزيـد مـن الاطـلاع حـول المنهـج والطريقة لا بد مـن الاطلاع على كتـب المنهـج وطرائق البحـث في العلوم الاجتماعية.

خامساً: المجتمع الأصلي والعينة:

Indigenous Community and Sample

تعد خطوة المجتمع الأصلي والعينة أحد الخطوات المرتبطة بتصميم البحث الاجتماعي وهي قسمان:

الأول: يتعلق بمجتمع البحث أو الدراسة ككل.

والثاني: يتعلق باختيار عينة من المجتمع (مجتمع البحث أو الدراسة) بوصفها تعبيراً عن هذا المجتمع أو تمثيلاً له. ويتحدد المجتمع الأصلي والعينة من خلال موضوع الدراسة أو البحث، فإذا كان الموضوع حول ثقافة ترشيد الاستهلاك في المجتمع السعودي ككل، فيكون المجتمع السعودي هو مجتمع البحث، وإذا كان موضوع البحث استطلاع رأي طالبات جامعة الملك سعود حول المعرفة بثقافة ترشيد الاستهلاك فيكون مجتمع البحث هو طالبات جامعة الملك سعود، وفي العام الذي يتم فيه البحث، وهكذا بالنسبة لأي موضوع يتحدد مجتمعه حسب الموضوع ذاته.

أما بالنسبة للعينة[1] فموضوعها ليس جديداً في البحث العلمي. فقد استخدمت في العلوم الزراعية لمعرفة كمية الإنتاج الزراعي لمساحة زراعية كبيرة قبل حصد الغلة الزراعية. واستخدمت أيضاً في معرفة كمية الصوف عند الخرفان قبل جزها، واستخدمت أيضاً في الدراسات الغابوية لمعرفة عدد أوراق الأشجار على أغصان الأشجار قبل سقوطها، وذلك يتم عن طريق أخذ مجموعة صغيرة (نسبة معينة) من الكل لمعرفة صفات الأصل ومعطياته العامة والخاصة. وهذا لا يرجع إلى كسل الباحثين أو تقاعسهم بل يرجع إلى صعوبة دراسة الكل أو الأصل خلال مدة زمنية محدودة ومن قبل عدد قليل من الباحثين، إضافة إلى الكلفة المالية الكبيرة التي تحتاجها. لذلك اتجه البحث العلمي

(١) د. معن خليل عمر: الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، ص١١٦-١٣٦، ونشير هنا إلى أننا تصرفنا قليلاً ببعض التعابير والفقرات، وقد وضعناها ضمن قوسين بهذا الشكل [ ].

إلى استخدام العينة في الدراسات الميدانية الحقلية من أجل التوصل إلى معرفة صفات الكل أو الأصل ومعطياتهما.

أما في علم الاجتماع فالوضعية متشابهة مع بعض حالات العلوم الصرفة وبعضها الآخر أكثر تعقيداً من الظواهر التي تدرسها هذه العلوم، لأن الظاهرة الاجتماعية متغيرة باستمرار، والعوامل الخارجية المؤثرة فيها مختلفة من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر. إضافة إلى العوامل الداخلية للظاهرة، حيث إنها تختلف باختلاف خلفياتها وتفاعلاتها المتداخلة ومكوناتها المتعددة، كل ذلك يتطلب من دارس الظاهرة الاجتماعية أن يحيط بكل جوانبها ومكوناتها ومؤثراتها الداخلية والخارجية.

فدراسة ظاهرة اجتماعية يعيشها عدد كبير من الأفراد، وتتفاعل مع ظواهر اجتماعية أخرى محيطة بها ليس بالأمر الهين، لأنه لا يمكن دراستها بشكل مجرد، ولا يمكن فهمها بكامل ارتباطاتها وجزئياتها وشموليتها بواسطة عدد قليل من الباحثين لديهم إمكانات مالية متواضعة ووقت محدد. لذلك يضطر الباحث الاجتماعي إلى أن يأخذ عينة ممثلة أصدق تمثيل لجميع صفات مجتمع الأصل أو لمعظمها أي أن هذه العينة تكون بمنزلة النموذج الصحيح والصادق لمجتمع الأصل. بيد أن استخراج هذا النموذج الصحيح والصادق (العينة) من مجتمع الأصل ليس بالأمر السهل بل يخضع لإجراءات وطرائق علمية لا يمكن تجاهلها أو تركها. فإن طريقة سحب العينة لا تخضع لرغبات الباحث أو لأهوائه. حيث هناك فرق كبير بين "سحب" العينة أو "أخذ" العينة، فالأولى تعني إعطاء فرص متكافئة متساوية ولكل وحدة اجتماعية (قد تكون فرداً أو أسرة أو جماعة أو حزباً سياسياً أو مساحة جغرافية محددة في مجتمع الأصل حتى تكون ممثلة في العينة وذلك يتم عن طريق القرعة أو عن طريق استخدام الجدول العشوائي لهذه العملية وبهذه الطريقة يستطيع الباحث أن يحصل على نموذج مصغر وصادق لجميع صفات مجتمع الأصل. إلا أن هذه الطريقة تتطلب معرفة صفات مجتمع الأصل قبل سحب العينة وتحديد نسبتها منه ودرجة تكرارها ومن بعد يتم سحب عينة ممثلة لوحدات مجتمع الأصل. بينما في أخذ العينة لا يسمح الباحث للوحدات الاجتماعية أن تتمثل بشكل متساوٍ ومتكافئ بأن يقع

الاختيـار عليهم لكي يمثلوا في عينة البحث. أي يكون اختيار الوحدات الاجتماعية خاضعاً للاعتبـارات الكيفيـة والاعتباطيـة التي يمارسها الباحـث نفسـه. أي أن الباحث لا يأخذ وحـدات عينـة الدراسة حسب الطريقة العشوائية بواسطة الجـداول العشوائية أو القرعة وهذا غير وارد في البحث العلمي إلا أننا يجب أن نوضح للقارئ الفرق بين عملية "سحب" العينة و"أخذها" لكي لا يقع في خطأ علمي كبير.

نفهـم من ذلك أن مفهـوم العينة يعني انعكاساً شاملاً لصفـات مجتمع الأصل، إنما بشـكل مصغر، ويعني أيضاً نسبة ثابتة مأخـوذة من مجتمع الأصل، وهذه النسبة تساعد الباحـث على الوصـول إلى مجتمع الدراسـة وفي الوقت نفسه تقدم له قواعـد للتنبؤ عن مستقبل الظاهرة أو المشكلة المدروسة.

فهـي (العينـة) جـزء محدد كمـاً ونوعاً يمثـل عدداً مـن الأفراد يحملـون الصفات الموجودة نفسها في مجتمع الدراسة (على شرط أن تتاح الفرصة لكل فرد من مجتمع الأصـل لمـن يقـع عليـه الاختيـار، فيكـون ضمن العينـة دون تدخـل أو تحيـز أو تعصب الباحـث) أي إعطـاء فرصة متكافئـة لجميع أفراد مجتمع الدراسـة الذين يقع عليهم الاختيـار. وسبيل الباحث مـن هذه العملية هو المحافظة على موضوعية سحب العينة بطريقة علمية وسليمة.

فعلـى سبيـل المثال لا الحصر، إذا أراد أحد الباحثـين دراسة رأي الأفراد في [مدينة دمشق] حول البرامج التلفزيونية فإنه سوف لا يدرس جميع الأفراد الساكنين في [مدينة دمشـق] لأن ذلـك يأخـذ وقتاً طويـلاً ويحتاج إلى كميـة كبيرة من المال وعـدد كبير من الباحثـين والمساعدين وعدم قدرته على توجيه أسئلة دقيقـة، وأماكن الوصول إلى جميع أفـراد مجتمـع الدراسة. واختصاراً للوقت والجهد والمال فإنـه يأخذ عينة صغيرة ممثلة تمثيـلاً صحيحاً لأفـراد مجتمع [مدينـة دمشق] ويأخـذ رأيهم في البرامـج التلفزيونية المقدمـة ومعرفة أي منها يتصـف بالتشويق وأي منها ذو فائـدة ثقافية وأي منها يساعد النـاس على قضاء وقت فراغهم والاستفادة منه، وأي منها يتصف بالسطحية الثقافية أو الفنية وما شابه ذلك.

وفي ضوء هذا الفهم وجب على الباحث معرفة حجم سكان [مدينة دمشق] أجمع والحصول على خارطة المنطقة، بعدها يحدد نسبة معينة تمثل حجم عينة بحثه تسحب من مجتمع دراسته على شرط أن تتناسب مع قدرته العلمية وإمكاناته الحقلية والزمنية لكي تعكس جميع صفات فئات مجتمع الدراسة بشكل صادق ومتناسب. هذه هي الخطوة الأولى لتحديد مفهوم العينة وطبيعتها، ومن أجل التعمق في طبيعة العينة نوضح صفات العينة الجيدة لتميزها عن العينة غير الجيدة.

تتصف العينة الجيدة بأنها تتيح الفرص لكل وحدة اجتماعية من مجتمع الدراسة لأن تكون ضمنها أي إعطاء فرص متكافئة لجميع وحدات مجتمع الدراسة لأن تشمل في عينة الدراسة.

ويتم هذا عن طريق استخدام الطريقة العشوائية أو القرعة، بحيث تعكس العينة صفات مجتمع الدراسة نفسه وبنسبة تمثيلها نفسها في ذلك المجتمع، وتعرف الباحث على حاجات وحداتها بسهولة وإذا تم ذلك فإنه يستطيع الوصول إلى درجة عالية من الثقة في نتائج بحث، لأنها (العينة الجيدة) سوف تقدم له معلومات غنية بالأفكار والآراء يستطيع استخدامها لبرهنة فرضيات بحثه وهذا بدوره يؤدي إلى إعطاء ثقة عالية لنتائج بحثه.

وأخيراً إذا كانت العينة سهلة الوصف وسهلة أيضاً في سحبها من مجتمع الأصل فسوف تساعد الباحث على تقدير التوقعات السلبية للبحث. هذه النقاط توضح العينة الجيدة وخلاف ذلك تكون من النوع غير الجيد أي غير ممثلة للمجتمع الأصل.

وما دمنا بصدد طبيعة العينة أرى ضرورة توضيح مصطلحين أساسيين هما وحدة العينة التي قد تكون على شكل ربات بيوت أو عمال أو طلبة أو أطباء أو جماعات أو مناطق سكنية، والشيء الذي يستوجب على الباحث الاجتماعي أن يحدده قبل سحب عينة بحثه ما هي وحدة العينة وعدد الوحدات التي يتضمنها مجتمع الأصل. فإذا أراد أحد الباحثين دراسة الطلبة الجامعيين فتكون وحدة العينة هنا (الطلبة أي الطالب والطالبة) وفي هذا

المجال عليه أن يحدد ماذا يعني بالطالب الجامعي أو الطالبة الجامعية، فمثلاً يعني الطالب الجامعي الفرد المسجل فعلاً في سجلات الجامعة ومستمراً في دراسته ويحضر امتحانات دورية ومشتركاً في أنشطة الجامعة اللاعلمية كالأنشطة الرياضية أو الفنية أو السياسية أو الفكرية أو الأدبية ولا تشمل تحديد هذه الوحدة الطالب المنقطع عن الدوام أو المفصول أو المؤجل، ويخضع لهذه الوحدة الطالب الأجنبي وابن البلد على السواء.

أما المفهوم الثاني فهو إطار العينة الذي يعتمد قائمة الأسماء أو السجلات الرسمية الخاصة بجميع وحدات مجتمع الدراسة على أن تكون هذه القوائم خالية من الشطب والحذف وجديدة في تسجيلها وغير فاقدة لبعض الأسماء أو مكررة لبعضها الآخر وعادة تكون منظمة حسب نسق معين، إما حسب تسلسل الحروف الأبجدية أو حسب المراكز الوظيفية (إذ كانوا في مؤسسات رسمية) أو حسب مناطق سكنهم وما شابه.

أ- حجم العينة والمؤثرات العامة عليها:

ذكرنا فيما سبق صعوبة دراسة مجتمع الأصل بأكمله الذي يؤدي إلى أخذ عينة محددة وممثلة لطبيعة وحدات مجتمع الدراسة. لكن السؤال الذي يقدم نفسه أمام الباحث هو ما حجم العينة؟ هل يجب أن يأخذ ٥٪ أو ١٠٪ أو ٣٠٪ أي ما النسبة المئوية التي يأخذها من حجم مجتمع الأصل؟ في هذه المرحلة الميدانية يكون الباحث عارفاً حجم مجتمع الأصل لكنه لا يعرف وحدات الدراسة وكم عددها؟ وهنا يبرز سؤال آخر هو كم وحدة (من وحدات مجتمع الدراسة) يحتاجها لأن تكون عينة في بحثه؟ وهذا السؤال ممكن الإجابة عنه، ونجده من خلال معرفة ماذا سوف يعمل بنتائج عينة بحثه. يرى [أحد المختصين] أن الخطوات الأولى التي يجب أن يقوم بها الباحث من أجل تحديد حجم عينة بحثه هي ما يلي:

١- تحديد مستوى أهمية الاختيار أو تحديد طموح الباحث في تقنين مستوى الثقة لكي يوضح متى يستطيع رفض فرضية العدم.

٢- تحديد درجة الدقة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الخطوات الأساسية لتحديد حجم العينة تتطلب الآتي:

١-١ تحديد درجة الدقة المنتقاة من قبل الباحث.

٢-٢ تحديد متغيرات الدراسة التي يريد الباحث شمولها في عينة بحثه.

ومن أهم العوامل التي تؤثر في تحديد حجم العينة ما يلي:

١- تجانس وحدات مجتمع الدراسة في صفاتها وعناصر مكوناتها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا أراد أحد الباحثين دراسة نوع التنشئة الاجتماعية وطبيعتها في مجتمع عمالي قيمي عليه أن يختار منطقة يسكنها العمال والكسبة ويمتهنون مهنة العمل في المصنع والمعامل ويكونون ذوي انحدار طبقي واجتماعي واحد. فإذا كانت هذه الصفات العامة متوافرة في تلك المنطقة العمالية فلا بأس أن تكون عينة البحث صغيرة، لأن هناك انسجاماً في صفات الوحدات الاجتماعية لمجتمع الدراسة. وهذا مما لا شك فيه يساعد الباحث على وضع أسئلة خاصة بهم وشاملة لمعظم جوانب موضوع الدراسة، تساعده على عملية تحليلها وتقلل من الجهد المبذول في عملية جمع المعلومات، وتقلل أيضاً من صرف المال المخصص للدراسة وتقليص عدد الباحثين، وسوف يحدث عكس ذلك عندما تكون صفات مجتمع الدراسة غير متجانسة أي عندما يكون هناك عمال وفلاحون وموظفون إداريون. ففي هذه الحالة يتحتم عليه أن يأخذ عينة كبيرة الحجم، أو يتحدد حجم العينة بمدى اختلاف وحداتها أو تجانسها. فكلما قل الاختلاف وضؤل التفاوت بين وحداتها جاز أن ينقص حجم العينة. وإذا اشتد التفاوت لزم زيادة حجمها. وتبعاً لذلك يقل خطأ عامل المصادفة كلما كبر حجم العينة ويزداد احتمال الوقوع في مجال المصادفة كلما صغر حجمها.

٢- عدد البحوث السابقة التي تناولت موضوع الدراسة نفسه، حيث تساعد الباحث على التعرف على حجم العينات التي استخدمت ومدى تجانس مجتمعات دراساتهم أو عدم تجانسها والنتائج التي توصلوا إليها خلال تلك العينة التي استخدموها. أي أن

البحـوث السابقـة تساعد الباحث في تسليط الضوء علـى المشكلات التي واجهوها في تحديد عيناتهم.

٣- نوع العينة المستخدمة بالدراسة إذا كانت من النوع العشوائي فسوف تعمل على تسهيل عمليـة تحديد حجم العينة أكثر من الطبقيـة أو المركبة، لأن العينة التي تكون طرائق تطبيقهـا بسيطة وذات متطلبات عملية واضحة تسهل على الباحث تحديد عينة بحثه والعكس صحيح.

٤- كميـة المال المخصص للدراسة. فإذا كانت كمية المال كبيرة فإن ذلك يساعد الباحث على سحب عينة كبيرة الحجم والعكس صحيح.

٥- الوقـت المخصص للدراسـة، إذا كانت المدة الزمنية المخصصـة للدراسة طويلة فإن ذلك يساعد الباحث على سحب عينة كبيرة الحجم والعكس صحيح.

٦- يؤثر عدد الباحثين المساهمين بالدراسة في تحديد حجم عينة البحث. فإن كان عددهم كبيراً فسوف يساعد الباحث على سحب عينة كبيرة الحجم والعكس صحيح.

وقبـل أن ننتقل إلى خطوة أخرى نود توضيح نقطة مهمة جديرة بالتناول وهي **قائمة أسمـاء وحـدات العينـة** أو خريطة المنطقة السكنية لوحـدات مجتمع الدراسة أو سجلات الوحـدات ووثائقهـا التـي تكون المهمـة الرئيسة في بـدء عملية سحب العينـة. فقد تكون بعض الوحدات مفقودة مـن القائمة التي يجـب أن تتضمنها قائمة الأسمـاء وهذا يؤثر في موضوعيـة سحـب العينـة، أو أن تكـون قائمة الأسمـاء غير كاملة. فعلـى سبيل المثال لا الحصـر إذا استخـدم الباحث قائمة دفـع الرواتب الشهرية لـوزارة أو شركة أو معمل معـين فقد يكون هناك احتمال عدم تضمين هـذه القائمة أسماء الموظفين الجدد، أو قد تتضمـن تكرار بعض الأسمـاء فيما إذا تضمنت القائمة أسمـاء الموظفين والعمال الذين يقومـون بعمـل إضافي، حيث يتكرر اسـم الوحدة الاجتماعية أكثر من مـرة واحدة. وإذا استخدم الباحث قائمة عناوين الوحدات الاجتماعية التي قد يحتمل وجود أكثر من وحدة اجتماعية واحدة في عنوان واحد فإن ذلك يؤثر أيضاً في تحديد حجم العينة، أو قد تكون

هنـاك قائمة أسمـاء قديمة أو أنها تضمنت وحدات اجتماعية قامت. أو انتقلت إلى مكان آخر. أو أن القائمة متضمنة وحدات أجنبية لا تمثل وحدات مجتمع الدراسة.

جميـع هذه الاحتمالات المتعلقة بقائمة الوحدات الاجتماعية الخاضعة للدراسة **تؤثر في درجـة موضوعيـة سحب عينة البحـث** لهذا يتطلب الباحث الانتباه إليها وعدم الوقوع فيهـا. وإذا حصل وسحب الباحث عينة من قائمـة متضمنة هذه الأخطاء المذكورة أعلاه فـإن سحـب عينة ذات حجم كبير لا يوصله إلى نتائج دقيقة ولا يساعده على تعميم نتائج دراستـه. وهـذا يوضح مـدى أهمية صـدق وحدات قائمـة أسماء الوحـدات الاجتماعية ودقتها.

أخيراً إن أخطاء العينة تعتمد على عددها، وليس على حجم مجتمع الدراسة.

ب- أنواع العينات[1]:

لكي يتضح الأمر لدى القارئ عندما يتطرق لموضوع العينة وأنواعها، لا بد من توضيح الحقيقـة الآتية، وهي **أن الباحث الاجتماعي غـير مخير في انتقاء نوع عينة بحثه، إنما العامـل الفاعـل في ذلـك هو طبيعة مجتمـع الأصل** وليس رغبتـه في اختيار عينة معينة أو سهولـة تطبيـق نوع من العينـات. فوجود قائمـة أسماء جميع أفراد مجتمـع الأصل أو وجود خريطة منطقة البحث يسهل استخدام أحد أنواع العينات الاحتمالية. وغياب قائمة الأسماء أو خريطة منطقة الدراسة يعسر الأمر عليه فيذهب إلى استخدام إحدى العينات غير الاحتمالية ومن هنا تصنف العينات ضمن نوعين هما:

١- العينات الاحتمالية:

تعني العينات الاحتمالية ما يلي:

- عدم معرفة أو تحكم الباحث في طريقة اختيار أفراد عينة بحثه.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن العينات وأنواعها وكيفية اختيارها... إلخ لا بد من العودة إلى كتب الإحصاء الاجتماعي والإفادة منها بهذا الخصوص.

- تمثل أصدق تمثيل للأفراد المسحوبين من مجتمع الأصل، لأنها تعطي المجال لكل فرد لأن تكون له فرصة الدخول في عينة البحث.
- تعطي للباحث تقديراً دقيقاً لاحتمال فشله أو نجاحه في الدراسة.
- تساعد الباحث على تحديد حجم عينة بحثه.
- تساعد الباحث على تحديد وحدات الدراسة.

وهناك أنواع للعينات الاحتمالية هي:

١-١ العينة العشوائية البسيطة: Simple Random Sampling

تعني اختيار الوحدات الاجتماعية بصورة غير عمدية، بحيث يسمح لكل وحدة بأن تكون ضمن عينة البحث على أساس تكافؤ الفرص لجميع وحدات مجتمع الدراسة ويتم ذلك بواسطة استخدام الجدول العشوائي أو القرعة.

ويستوجب على الباحث الذي يستخدم هذا النوع من العينات أن يهيئ قائمة أسماء تضم جميع الوحدات الاجتماعية الخاصة بمجتمع الأصل على أن يضع رقماً مستقلاً وخاصاً أمام كل وحدة في القائمة. بعد ذلك يذهب إلى **الجدول العشوائي** الموجود في نهاية كل كتاب متعلق بالإحصاء الاجتماعي، ويضع إصبعه عشوائياً على هذا الجدول. فإذا وقع إصبعه على رقم من الأرقام فعليه أن يأخذ ذلك الرقم من قائمة أسماء الوحدات الاجتماعية على شرط ألا يزيد عدد أرقام العدد على عدد الأسماء الموجودة في القائمة.. أي إذا كان عدد أفراد مجتمع الأصل ١٠٠ وحدة فهذا الرقم يتكون من ثلاثة أعداد. ويريد الباحث أن يسحب عينة تمثل ١٠٪ من مجتمع الأصل فسوف تكون عينة بحثه متألفة من عشر وحدات فقط. وفي هذه الحالة يستعمل الجدول العشوائي عشر مرات لسحب أرقام تمثل عينة بحثه. وقد يستطيع الذهاب إلى الأرقام الموجودة على شمال الرقم الأول أو جنوبه أو شرقه أو غربه الذي اختاره عشوائياً على ألا ينسى في هذه الحالة عند استخدامه الجدول العشوائي، أن يسحب رقماً لا يتعدى ثلاثة أعداد وألا

يتعـدى الرقـم ١٠٠. أي من الممكن أن يأخذ الرقم ١، ٢، ٣، ١٩، ٩٩، ١٠٠ وبهذه الطريقة يضمـن الباحـث موضوعية بحثه في اختيار وحـدات عينته ويضمن أيضـاً عدم تحيزه أو تعصبه لأي وحدة اجتماعية معينة.

وهنـاك **طريقـة أخـرى** لسحب وحـدات العينة بالطريقـة العشوائيـة دون استعمال الجـدول العشوائي، وهي كتابـة جميع أسماء وحدات مجتمع الأصـل على قصاصات من الـورق وتطبق كل قصاصة لكي تخصـص اسم الوحدة الاجتماعية المكتوبة عليها، ثم يخلط بعضهـا مـع بعض وتوضع في كيس ومن ثم يسحب الباحـث ـ لا على التعيين ـ عدد الأسماء التي تمثل حجم عينة بحثه دون معرفة أو مشاهدة أسماء الوحدات الاجتماعية أو التقصد في سحب إحداها دون الأخرى.

وهنـاك **طريقة ثالثـة** لسحب وحدات العينة بالطريقة العشوائية وهي أن يُعطى رقم خاص لكل وحدة اجتماعية من مجتمع الأصل وتوضع هذه الأرقام على كرات صغيرة، ثم توضـع في إنـاء كروي ذي ثقب صغير في أسفله ثم يحرك الباحث هذا الإناء بشكل دائري إلى أن يقف فتسقط كرة واحدة تحمل رقماً واحداً من ثقب الإناء الكروي يمثل اسم واحد لوحـدة اجتماعية واحدة، يكرر الباحـث هذه العملية عدة مرات إلى أن يحصل على عدد وحدات العينة المطلوبة.

هـذه الطرائق الثلاث تساعد الباحـث على سحب عينـة بحثه بطريقـة عشوائية بشـكل موضوعـي علـى أن يكون في ذهن القـارئ أن الطريقة العشوائيـة لا تعني اختيار الوحـدات بشكل اعتباطي كيفي كما يظن بعضهم بـل بشكل غير متعمد وبأسلوب يضمن موضوعية سحب وحدات العينة.

١-٢ العينة المنتظمة: Systematic Sampling

تشـترط هذه العينة تهيئة قائمة أسماء جميع وحـدات مجتمع الأصل كاملة وحديثة، لكـي يضع الباحـث رقماً مستقـلاً وخاصة أمام كل اسـم في هذه القائمـة، بعدها يشرع بسحب الوحدات على أن يكون سحب الوحدة الأولى حسب الطريقة العشوائية من الجدول

العشوائي (أي يضع إصبعه على الجدول ويأخذ رقماً معيناً، ثم يستخرج اسم صاحبه من قائمة الأسماء وعلى الباحث أن يلاحظ عند الذهاب إلى الجدول العشوائي ألا يأخذ رقماً يزيد على عدد الوحدات الموجودة في القائمة، أي إذا كان عدد وحدات مجتمع الأصل يبلغ ٤٠٠٠ وحدة ويريد أن يأخذ ١٠٪ من مجموع مجتمع الأصل عينة لبحثه فسوف يكون عدد وحدات عينته ٤٠٠، بعدها يجب عليه أن يسحب رقماً يتألف من أربعة أعداد أو أقل، أي من الممكن أن يأخذ رقماً يتكون من عدد واحد مثل الرقم ٩ أو أي رقم يتكون من عددين يبتدئ من الرقم ١٠ وينتهي بالرقم ٩٩ ورقماً يتكون من ثلاثة أعداد يبتدئ بالرقم ١٠٠ وينتهي بالرقم ٩٩٩ أو رقماً يتكون من أربعة أعداد على ألا يزيد الرقم على ٤٠٠٠ (العملية نفسها التي قام بها الباحث في العينة العشوائية).

بيد أن هناك فرقاً جوهرياً يميز هذا النوع من العينات (المنظمة) عن باقي الأنواع يتمثل في المعطيات الآتية:

- البعد الثابت: أي تحدد نسبة مئوية معينة من حجم العينة وحجم العينة المسحوبة في البحث ولنقل ٢٪ فسوف يكون البعد الثابت في البحث مثلاً الرقم ٨.
- الرقم المبتدئ: أي يقوم الباحث باختيار رقم واحد بصورة عشوائية ما بين الرقم ١ والرقم ٨ وفي هذه الحالة يستطيع الباحث أن يهيئ ثماني قصاصات من الورق ويضع على كل قصاصة رقماً واحداً غير متكرر في قصاصة أخرى تبدأ هذه الأرقام من ١ إلى ٨ ثم يطبقها أو يضعها في أغلفة ثم يسحب واحدة منها لتمثل الرقم المبتدئ ولنقل على سبيل المثال: إن القصاصة المسحوبة كانت تحمل الرقم ٥. بعدها يذهب إلى قائمة أسماء وحدات مجتمع الأصل ويأخذ اسماً يحمل تسلسل رقم ٥ ليكون ضمن عينة بحثه بعدها يضيف الرقم ٨ إلى الرقم السابق فيصبح لديه الرقم ١٣ أي ٥ + ٨ = ١٣ ويذهب إلى قائمة الأسماء ويأخذ اسما يحمل تسلسل رقم ١٣ ليتمثل في عينة بحثه وبعدها يضيف الرقم ٨ (الذي يمثل البعد الثابت في عينة بحثه) فيكون المجموع ٢١ أي ١٣ + ٨ = ٢١. وبعدها يذهب إلى قائمة أسماء مجتمع الأصل ويبحث عن

الاسم الذي يحمل تسلسل رقم ٢١ ليتمثل في عينة بحثه، وهكذا إلى أن يتم سحب ٤٠٠ وحدة اجتماعية ويستمر على هذه العملية على ألا يزيد الرقم المسحوب على الرقم ٤٠٠٠ الذي يمثل حجم مجتمع الأصل.

في الحقيقة أن هذه العملية أكثر انتظاماً وأكثر دقة وموضوعية وتفيد الباحث عندما يكون مجتمع دراسته كبيراً، لأنه سوف يستغني عن استخدام الجدول العشوائي كل مرة يذهب لسحب وحدات عينة بحثه، وبهذه الطريقة يقل جهد الباحث ويختصر وقته.

أما مساوئ هذه العينة فإنها توقع الباحث في أخطاء متكررة ومستمرة عندما يستخدم قائمة أسماء الوحدات الاجتماعية. فعلى سبيل المثال لا الحصر يكون لأصحاب الوحدات الاجتماعية التي تبدأ أسماؤهم بالحرف ألف مثل أحمد، أكرم...إلخ، أو التي تبدأ بالحرف ميم مثل محمد، محمود، ماجد، منى، مها، مضر، مكي، فرص أكثر من الأفراد الذين يحملون أسماء تبدأ بالحرف ياء مثل، ياسين، ياسمين، يسري، يزن، كذلك الأسماء التي تبدأ بالحروف واو مثل، وليد، وهبي، وجدي، ومن ثم يؤثر ذلك في موضوعية سحب عينة بحثه.

١-٣ العينة التدرجية: Sample Graduated

تتضمن هذه العينة مرحلتين أساسيتين هما:

- **المرحلة الأولى:** تقسيم مجتمع الأصل إلى فئات اجتماعية تمثل صفاته الرئيسة والفرعية.

- **المرحلة الثانية:** سحب عينة عشوائية أو منظمة من كل فئة اجتماعية على شرط ألا يتكرر تمثيل الفرد نفسه في أكثر من فئة اجتماعية. مثال ذلك إذا أراد أحد الباحثين أن يسحب عينة من المدن التي يتراوح عدد سكانها بين ٢٥٠,٠٠٠ ولا يزيد على ١,٠٠٠,٠٠٠ يعمد الباحث في هذه الحالة إلى تقسيم المدن حسب حجمها السكاني، وليكن كالآتي:

١	٢٥٠,٠٠٠	٨	٦٠٠,٠٠٠
٢	٣٠٠,٠٠٠	٩	٦٥٠,٠٠٠
٣	٣٥٠,٠٠٠	١٠	٧٠٠,٠٠٠
٤	٤٠٠,٠٠٠	١١	٧٥٠,٠٠٠
٥	٤٥٠,٠٠٠	١٢	٨٠٠,٠٠٠
٦	٥٠٠,٠٠٠	١٣	٨٥٠,٠٠٠
٧	٥٥٠,٠٠٠	١٤	٩٠٠,٠٠٠
		١٥	٩٥٠,٠٠٠
المجموع		١٦	١,٠٠٠,٠٠٠

بعد هذا يقوم الباحث بسحب عينة (عشوائية أو منظمة) من كل من هذه المدن على ألا يتكرر سحب فرد واحد من مدينتين في آن واحد. وفي ضوء ذلك يتطلب استخدام قائمة أسماء الوحدات الاجتماعية خاصة بكل مدينة مستقلة عن قائمة أسماء المدن الأخرى، ولا يمكن استخدام قائمة أسماء واحدة لجميع وحدات اجتماعية للمدن الموجودة كافة في هذا المثال ولا يمكن في الوقت نفسه سحب عينة (عشوائية أو منظمة) واحدة لسائر المدن.

وهناك طريقة أخرى لسحب العينة التدريجية وهي حسب نسبة مئوية ثابتة يحددها الباحث نفسه، مثال ذلك إذا أراد أحد الباحثين دراسة أثر التخصص العلمي في أنشطة طلبة الآداب وكان مجموع عدد الطلبة (٣٠٠٠) ويريد الباحث أن يأخذ ١٠٪ من كل قسم علمي من أقسام الكلية وكان عدد طلبة كل قسم كالآتي:

التخصص العلمي	المجموع العام لكل تخصص	النسبة المئوية	حجم عينة البحث
اللغة العربية	٦٠٠	١٠	٦٠
اللغة الإنجليزية	٤٦٠	١٠	٤٦
علم الاجتماع	٣٥٠	١٠	٣٥
التاريخ	٣٩٠	١٠	٣٩
الجغرافية	٣٢٠	١٠	٣٢
الفلسفة	٤١٠	١٠	٤١
علم الآثار	٢٤٠	١٠	٢٤
الإعلام	٢٣٠	١٠	٢٣
المجموع	٣٠٠٠	١٠	٣٠٠

تستخدم هذه العينة عندما يكون مجتمع أصل غير متجانس في صفاته الاجتماعية ولا في حجومه العددية. ويعمد الباحث تقسيم مجتمع الدراسة إلى صفاته الاجتماعية أو يحدد نسبة مئوية ثابتة يأخذها من جميع الفئات الاجتماعية التي تكون مجتمع الأصل.

١-٤ العينة المركبة أو متعددة المراحل: Composite Sample

يستخدم هذا النوع من العينات عندما يكون مجتمع الأصل غير متجانس وموزعاً أو منتشراً على رقعات جغرافية متباعدة المسافات وبشكل غير متوازن أو متكافئ.

وإن هدف العينة المركبة هو اختيار عينات ذات وحدات اجتماعية غير متجانسة وذات حجم صغير في الوقت نفسه. ولا تسحب الوحدات الاجتماعية في هذا النوع من العينات بصورة مباشرة بل بشكل غير مباشر. لقد قسم أحد المختصين العينة المركبة إلى نوعين وهما الأول ذو مرحلة واحدة التي تعني تقسيم مجتمع الأصل إلى عدة أقسام كل منها يقسم إلى أقسام أصغر فأصغر، ثم يسحب قسم واحد مركب (حسب الطريقة العشوائية) ثم تجمع المعلومات من جميع أفراد القسم المركب الذي سحب بالطريقة العشوائية. وأما النوع الثاني فيسمى العينة المركبة ذات المراحل المتعددة التي تعني تقسيم مجتمع الأصل إلى أقسام كبيرة ثم إلى أصغر فأصغر ومن ثم سحب المبحوثين من أصغر قسم ثم من مجتمع الأصل.

مثال ذلك تقسم المملكة إلى مناطق عدة وتسحب عينة عشوائية من هذه المناطق، بعدها تقسم المناطق إلى عدة محافظات وتسحب عينة عشوائية من هذه المحافظات. ثم تقسم المحافظات إلى عدة مدن وتسحب عينة عشوائية من كل مدينة، بعدها تقسم المدن إلى أحياء وتسحب عينة عشوائية من كل حي، ثم تقسم الأحياء إلى وحدات سكنية وتسحب عينة عشوائية من كل وحدة، بعدها يعمد الباحث إلى اختيار البيت الثالث (مثلاً) من كل وحدة سكنية، وأخيراً تجمع المعلومات من الفرد الذي تسلسله المرتبة الثانية من أسرة ذلك البيت وكل وحدة سكنية.

مثـال آخـر إذا أراد أحد الباحثين دراسـة تأثير التخصص العلمـي في تغيب الطلبة عـن الجامعة، فإنه سوف يقسـم الطلبة حسب كلياتهم العلمية، بعدهـا يقوم بتقسيمهم حسـب الأقسام العلميـة، ثم يقسمهم حسـب مراحلهم الدراسية ومن ثـم يختار الطلبة مـن هذه المراحـل الدراسية وحسـب الأقسام العلميـة وكليات الجامعة حسـب الطريقة العشوائية وبهذه الطريقة يضمن الباحث موضوعية سحب العينة المركبة متعددة المراحل وعملياتها.

نلاحظ على هذا النوع من العينات عدم توافر فرصة متكافئة في عملية اختيار الطلبة، وهذا يؤثر في درجة كفاية العينة ويؤدي إلى احتمال الوقوع في أخطاء كبيرة، لأنها معقدة نسبيـاً. إضافة إلى الجهد الكبـير المبذول والوقت الطويل الـذي تستغرقه للحصول على المعلومات من الطلبة الموزعين على الكليات وأقسام ومراحل دراسية مختلفة.

أخـيراً إن العينـة المركبـة لا تتطلـب وحدات اجتماعيـة متكافئـة ومتساوية في فئة اجتماعيـة معينـة، ولا تتطلـب تجمعاً طبيعياً لوحدات العينـة أي أنها لا تتطلب وجود تجمع خاص من الوحدات الاجتماعية يطلق عليه تجمعاً مركباً.

١-٥ العينة المساحية: Sample Spatial

تعـد العينة المساحية من النوع الاحتمالي، لأنها تسحـب وحداتها ولا تأخذ وحداتها. والصفة المميزة لهذا النوع من العينات هو أن وحداتها الدراسية تكون على شكل مساحات جغرافيـة وليست أفـراداً أو مجموعة أفـراد. تستخدم هذه العينة عندمـا تكون المنطقة الجغرافية لمجتمع الأصل واسعة جداً أولاً، وعندما ينعدم أو يتعذر على الباحث الحصول على قائمة أسماء المبحوثين ثانياً. أي يكون اختيار المبحوثين استناداً إلى مناطق سكناهم وليس استناداً إلى قائمة خاصة بهم لذلك يطلب من الباحث منذ البداية وصف الوحدات السكنيـة للمنطقـة بشكل عام ومن الذي يجـب أن تجمع منه المعلومـات أهو الفرد الذي يفتـح البـاب عندما يأتي الباحث لجمع المعلومات أم الفـرد الأكبر أم رب الأسرة أم أكبر فـرد مـن ذكور الأسرة، كذلك يجب أن يقرر الباحث من أين يبدأ بجمع المعلومات من كل

مساحة جغرافية (أي هل يبدأ من اليسار إلى اليمين أو بالعكس ويستثنى الدور الواقعة في الزوايا) وماذا يفعل عندما لا يجد الفرد الذي يجب أن يأخذ منه المعلومات هل يرجع إليه ثانيـة أم يستعيض عنه بفرد آخر ومن الدار نفسهـا؟ نستدل من هذه الإجراءات على أن هذا النوع من العينات يأخذ وقتاً طويلاً في جمع المعلومات ويتطلب مالاً كثيراً، لأنه يحتاج إلى وسائـط نقل من منطقة إلى أخـرى ويحتاج أيضاً إلى عدد كبير من الباحثين لتغطية المنطقـة الجغرافية المشمولـة بالدراسة. إلا أن هـذه العينة مفيدة عندمـا يريد الباحث دراسـة النمو السريع الذي يحصل لإحدى المناطق السكنية والشيء المميز لهذا النوع من العينـات هو عدم احتياجهـا إلى قائمة أسماء المبحوثين بل تحتـاج إلى خريطة جغرافية لمجتمـع الدراسـة ثم تسحب (ولا تؤخـذ) عينة البحث (حسب الطريقـة العشوائية) من المناطـق أو المساحـات التابعـة للمنطقة الجغرافيـة لمجتمع الدراسة. أمـا طريقة سحب العينة حسب شروط العينة المساحية فتكون كالآتي:

تقسـم المنطقة الجغرافيـة المشمولة بالدراسة العامة إلى **أقسامها الإدارية الكبيرة** ثـم تقسم هـذه الأقسـام إلى **وحـدات إدارية أصغـر**، ثم **أصغـر** وتسحب منطقـة إدارية واحدة (مثلاً) حسب الطريقة العشوائية ثم تجمع المعلومات من جميع أفراد تلك المنطقة الجغرافية المسحوبة بواسطة الطريقة العشوائية. نلاحظ على هذه الإجراءات أنها تشبه إجـراءات سحب العينـة المركبة ذات المراحل المتعددة، إلا أن الفـرق الوحيد بينها هو أن الوحدة الاجتماعية أفراداً في العينة المركبة.

مـن محاسن هـذه العينة أنها تغطي مساحـة جغرافية واسعة مـن منطقة الدراسة، كذلـك تختصر وقت الدراسة وتقلل مـن حركة الباحث أو الباحثين وتنقلهم داخل ميدان دراستهـم وتغني الباحـث عن متاعب الحصول على قائمة الأسمـاء وحتى عن المشكلات القائمة نفسها.

٢- العينات غير الاحتمالية وتشمل:

٢-١ العينة القصدية: Sample of intent

تعنـي هذه العينة اختياراً كيفياً من قبل الباحث للمحبوثين استناداً إلى أهداف بحثه ولا يتـم اختيـار المبحوثين من خلال الجـدول العشوائي أو عن طريـق القرعة، فهي بهذه الحالـة لا تعطـي الفرص المتكافئة لكل وحدة اجتماعية لأن تكـون ضمنها. مثال ذلك إذا أراد أحـد الباحثـين دراسة المواقف السياسية لجمهور في حالـة تظاهرة فإنه يتعذر عليه الحصول على قائمة أسمائهم وسحب عينة منها بل يمكن أن يستعيض عن ذلك بالذهاب إلى قادة المظاهرة لكي يتصل بهم، لأن الجمهور انتخب هؤلاء لكي يقودهم في تظاهراتهم هذه، فتجمع المعلومات منهم وتعمم على الجمهور المتظاهر.

٢-٢ العينة الغرضية: Object Sample

يكـون أفـراد هذه العينة مـن المتطوعين في إعطـاء المعلومات المتعلقـة بالدراسة ولم يسحبـوا مـن مجتمع الدراسة وحسب الطريقـة العشوائية ولا توجد هنـاك قائمة أسماء المبحوثـين أو خريطـة جغرافية لمجتمـع الدراسة ولا يعـرف حجم مجتمـع الدراسة إنما استخـدم في حـالات خاصة جداً مثال ذلك إذا أراد أحد الباحثـين دراسة آراء المصوتين في عمليـة الانتخابات لصالـح مرشح معين، فيذهب الباحـث إلى المصوتين الذين جاؤوا طواعيـة للانتخاب فيجمـع المعلومات منهم حول موضـوع الانتخابات. فهـي (أي العينة الغرضية) تشبه العينة القصدية من حيث كونهما يمثلان العينات غير الاحتمالية لكنهما يختلفان من حيث إن أعضاء العينة الغرضية متطوعون لأن يمثلوا في عينة دراسة الباحث دون تدخـل رغبة الباحث أو تدخل الطرائـق الاحتمالية في اختيارهم. فهم يمثلون العينة الجاهـزة بكاملها دون استخدام أي عمليات رياضيـة في حسابهم أو اختيارهم. بيد أنها لا تمثـل درجة عالية من الثقـة في تعميم نتائج بحثها، لأن أفرادهـا لم يمثلوا فيها حسب الطرائق الموضوعية المحايدة، وقد تأتي إجاباتهم غير محايدة أيضاً.

يتطلب هذا النوع من العينات معرفة صفات مجتمع الدراسة قبل كل شيء لكي يستطيع الباحث تصنيفه إلى جماعات أو وحدات اجتماعية متعددة (على أن يكون هذا التصنيف خاضعاً لأهداف الدراسة) كأن يقوم بتصنيف مجتمع الدراسة حسب الجنس (ذكوراً وإناثاً) وحسب العمر (١٠-١٢/-١٣-١٥/١٦-١٨) وحسب التحصيل الدراسي (أميّاً / أكمل الدراسة الابتدائية / أكمل الدراسة الثانوية / أكمل الدراسة الجامعية) المنطقة السكنية (قلب المدينة / منطقة صناعية / منطقة تجارية) وهكذا، بعد ذلك يأخذ الباحث حصة ثانية من كل فئة اجتماعية بعدها يجمع المعلومات المطلوبة من أفراد كل حصة بشكل كيفي (وليس عشوائياً) أي لا يستخدم الجدول العشوائي أو القرعة في اختيار أفراد عينة بحثه. لذلك تستطيع هذه العينة تمثيل مجتمع الدراسة بصدق وموضوعية علمية، لأنها لم تسمح لكل فرد من أفراد مجتمع الدراسة بشكل متكافئ أو متساوٍ أن يكون ضمن العينة. إلا أنها سهلة التطبيق وذات كلفة مالية قليلة ولا تحتاج إلى قائمة أسماء المبحوثين لكي يتم سحبها، لأنها لا تستخدم الطريقة العشوائية في اختيار أفرادها بل يذهب الباحث بشكل كيفي ويجمع المعلومات من الأفراد الذين يمثلون حصة كل فئة اجتماعية دون الرجوع إلى قائمة أسمائهم. وبناء على ذلك لا توجد أسئلة متروكة من قبل المبحوثين ولا توجد أهداف ولا يستجيبون معها أو لا يستجيبون مع أهداف الباحث نفسه بل تكون جميع الأسئلة المطروحة من قبل الباحث مستجابة من قبل المبحوثين وغير متروكة.

٢-٣ العينة الحصية: Sample Knapping

تشبه العينة الحصية العينة التدريجية من حيث تصنيف مجتمع الدراسة حسب صفاته على شكل فئات اجتماعية إلا أن الفرق الجوهري بينهما هو أن العينة الحصية لا تستعمل السحب العشوائي في اختيار مبحوثيها بينما تستعمل التدرجية ذلك.

مثال على العينة الحصية: إذا أراد أحد الباحثين دراسة نوع التنشئة الاجتماعية التي تمارسها الأم الموظفة في الوزارات التالية آخذاً ١٠٪ من مجموع الأمهات الموظفات في كل وزارة.

نوع الوزارة	عدد الأمهات الموظفات	النسب المئوية	حجم العينة من كل وزارة
الزراعة	١٤٠	١٠	١٤
الصحة	١٦٠	١٠	١٦
التربية	٤٠٠	١٠	٤٠
	٣٥٠	١٠	٣٥
الصناعة	١٨٠	١٠	١٨
التجارة	٢٨٠	١٠	٢٨
الخارجية	١٠٠	١٠	١٠
المجموع	١٦١٠	١٠	١٦١

فالباحث في هذه الحالة يجمع المعلومات من قبل ١٦١ مبحوثة بشكل كيفي أي دون استخدام قائمة أسماء الأمهات الموظفات في كل وزارة واستخدام الجدول العشوائي أو طريقة القرعة.

ج- مصادر الخطأ في اختيار العينة:

١- **خطأ المصادفة:** وينشأ هذا الخطأ من الفروق بين أفراد العينة وأفراد المجتمع كله. ولتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي:

نفرض أن لدينا مجتمعاً مكوناً من ستة أفراد أعمارهم على التوالي هي: ٢، ٣، ٤، ٦، ٩، ١٢، فإذا أردنا أن نسحب المتوسط الحسابي لأعمار هؤلاء الأفراد الذي هو ست سنوات فعلينا أن نحدد أولاً عمر كل مفردة من مفردات البحث. ولكن نفترض أننا لم نستطع أن نحدد هذه الأعمار لظروف خارجة عن إرادتنا. في هذه الحالة نستطيع أن نقدر المتوسط الحسابي للأعمار باختيار عينة عشوائية من المجتمع ثم نعمم نتيجة العينة على المجتمع كله. فإذا قررنا اختيار عينة مكونة من حالتين لنقدر على أساسها متوسط الأعمار، فقد يقع اختيارنا على الفردين اللذين يبلغ أعمارهما (٢، ٤). وفي هذه الحالة يكون المتوسط الحسابي للأعمار هو ٢ + ٤ ÷ ٢ أي (٣ سنوات). وقد نختار عينة ثانية أو ثالثة مكونة من حالتين إلا أن تقديرنا لمتوسط الأعمار لن يكون دقيقاً كل الدقة إلا إذا

اخترنا الفردين اللذين يبلغ عمراهما (٣، ٩) وفي الحالة الأخيرة يمكن القول: إن القيمة المقدرة للأعمار تطبق تماماً على القيمة الحقيقية للأعمار.

مـن هذا نرى أن خطأ المصادفـة يرجع إلى العينة التي نختارها وتكون دائماً محدودة العدد، وليس مضموناً، أن يكون متوسط القيم في أي عينة نختارها هو نفس المتوسط العام في المجتمع، فقد يكون في العينة التي نختارها شخص صغير السن، فينحرف بالمتوسط إلى أسفل، أو شخص كبير السن فينحرف به إلى أعلى، ويرجع ذلك إلى عامل المصادفة.

وليس معنى هـذا أن المصادفة تعمل دائماً بنظام أو ضابط. فالمصادفة التي أعطتنا شخصـاً صغير السن، قد تعطينـا شخصاً آخر كبير السن، فيتعـادل بذلك عمرا هذين الشخصين، ولا يتأثر متوسط الأعمار في العينة. وهذا التعادل وإن كان محتملاً إلا أنه ليس في الغالب مضموناً.

ويمكـن التقليل من خطأ المصادفة باختيار عينة كبيرة الحجم، بحيث إنه إذا اقترب حجـم العينة مـن حجم المجتمـع، وخاصة في المجتمعـات الصغيرة فإن خطـأ المصادفة يقترب من الصفر.

ويفيـد علم الإحصـاء في تحديد المجال الذي تقع فيه أخطـاء المصادفات، ويستطيع الباحث أن يحدد مدى الثقة التي يود أن يلتزمها، ونسبة الخطأ التي يود أن يتسامح فيها. فـإذا قبل الباحث أن يتسامح في نسبة خطأ قدرهـا (٥٪) مثلاً، فإنه يستطيع أن يحسب الحد الأدنى لحجم العينة، بحيث لا يخرج بهذا الخطأ عن الحد الذي ارتضاه.

٢- **خطـأ التحيـز:** قد يتعرض الباحث عند اختيـاره للعينة للوقوع في خطأ التحيز. وينتج هذا الخطأ عادة من أن اختيار مفردات البحث لم يتم بطريقة عشوائية، أو أن الإطار الذي اعتمد عليه الباحث في اختيار العينة لم يكن وافياً بالغرض، أو لصعوبة الاتصال ببعض المبحوثين وتركهم دون الحصول على الاستجابات المطلوبة منهم.

ويختلف خطأ التحيز عن خطأ المصادفة في النقطتين الآتيتين:

الأولى: ليس بإمكان الباحث أن يجدد وسيلة لتقدير خطأ التحيز تقديراً يطمئن إلى دقته كما هو الحال في خطأ المصادفة.

الثانية: لا يتناقص خطأ التحيز بزيادة حجم العينة كما هو الحال في خطأ المصادفة.

ولما كانت هناك صعوبة في حساب هذا الخطأ، فإن من الضروري أن يكون الباحث على علم تام بالأسباب المؤدية إلى التحيز، ليتلافاها أو يتحكم فيها على قدر الاستطاعة. ومن هذه الأسباب:

السبب الأول: عدم مراعاة مبدأ الاختيار العشوائي:

ويتحقق هذا المبدأ بإعطاء جميع المعلومات في المجتمع فرصاً متساوية في الاختيار، وبذلك تصبح العينة ممثلة تمثيلاً صحيحاً لجميع خواص المجتمع الأصلي.

ولكن يحدث في بعض الأحيان أن يقع الباحث في خطأ عدم استيفاء هذا الشرط في العينة التي يختارها، **فيأخذ عينة من طبقة واحدة من المجتمع** ثم يعمم نتائجه على جميع طبقات المجتمع.

وقد يحدث التحيز أيضاً **إذا ما اختار الباحث الأشخاص الذين يعرفهم معرفة وثيقة**، أو الأشخاص القريبين منه، أو المحتكين به. فاختيار هؤلاء الأصدقاء والمعارف دون غيرهم لا يتيح لجميع أفراد المجتمع فرصاً متساوية في الاختيار، ثم إن هؤلاء الأشخاص غالباً ما تجمع بينهم صفات مشتركة مثل الدخل والتعليم والعمر... إلخ الأمر الذي يؤدي إلى تحيز النتائج إذا كانت هذه الصفات متصلة بالمسائل التي يريد الباحث الحصول على بيانات عنها.

وقد يحدث التحيز من **اتخاذ المتطوعين بوصفهم عينة**. فهؤلاء المتطوعون غالباً ما تكون لهم مميزات خاصة تدفعهم إلى التطور دون غيرهم. فإذا كان الباحث يقوم بدراسة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لعمال مصنع من المصانع، ثم تقدم إليه

جماعـة من المتطوعـين، فإن من الخطأ الاعتمـاد عليهم في البحـث، إذ كثيراً ما يحدث أن يعتقـد العمال ذوو الأجور المنخفضـة أن الباحث سيتصل بالإدارة، ليعمل على تحسين مستوياتهـم الاقتصاديـة. ولذا يبـادرون بالاتصال به. ومن هنا تكـون العينة التي يعتمد عليها الباحث متحيزة فيما يخص المستوى الاقتصادي والاجتماعي للعمال.

السبب الثاني: عدم دقة الإطار وكفايته:

يحـدث في بعض الأحيان أن يقع الباحث في خطأ التحيز **نتيجة لرجوعه إلى ملفات أو إحصائيات قديمة** لا تشتمل على جميع الأسماء أو البيانات المتعلقة بالمجتمع.

ويحـدث التحيـز من **رجـوع الباحـث إلى إطـار لا يضم كل الفئـات التـي يتضمنها البحـث** كأن يحصـل على قوائم أسماء تضـم عمال الكهرباء فقط في حـين أن الدراسة تشتمل على العمال والفنيين معاً.

ولـذا فـإن من الضـرورة أن يكون إطار البحـث كاملاً يضم جميع وحـدات المجتمع، وشامـلاً لجميع البيانات التي يريدهـا الباحث وأن تكون بياناته مرتبة وصحيحة، حتى لا يكون الباحث عرضه للوقوع في خطأ التحيز.

السبب الثالث: عدم الحصول على بيانات من بعض مفردات البحث:

لا يتمكن الباحث في بعض الأحيان من الحصول على بيانات من جميع مفردات العينة. وهـذا ما يجعله عرضة للوقوع في خطأ التحيز. وبخاصة عندما يقتصر على الجزء الذي حصـل عليه، فيعمـم نتائجه على المجتمع كله دون التأكد ممـا إذا كان ذلك الجزء يمثل المجتمـع تمثيلاً صحيحاً أم لا. وهنا يجب علـى الباحث قبل أن يعمم نتائجه على المجتمع الأصلي أن يتأكد من أن المجموعة التي استجابت للبحث تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً، ولا تتميز بصفات تجعل العينة غير ممثلة للمجتمع كله.

الخلاصة: ماذا نفعل عند سحب العينة؟

١) نقـرر أولاً إذا كنا نريد أخذ عينـة أم لا، إذا كنا نريد ذلك فينبغي أن نقرر نوع العينة (احتمالية أو غير احتمالية) وعند اتخاذ القرار يجب أن نضع في اعتبارنا الآتي:

- أهداف الدراسة.
- إلى أي مدى نريد أن تكون النتائج ممثلة للمجتمع.
- العوامل المتعلقة بالموارد مثل التكلفة والوقت والعمالة.

٢) حسـاب حجم العينة المطلوبـة للدراسة. ويمكنك أن تستخدم المعـادلات الإحصائية المستخدمـة في حساب العينات[1] ولكن ينبغي أيضاً أن نستعين بأحد الإحصائيين إذا كان ذلـك ممكنـاً وفي هذه الحالة يجب أن يعرف الإحصائـي تقديرات النسب المراد اختيارهـا ودرجة الدقة التي تسعى للحصول عليهـا أو مقدار الاختلافات التي ترغب في اختيارهـا، ومستويات الثقة التي ترغب في استخدامها والحجم التقريبي للمجتمع الذي ستؤخذ منه العينة.

٣) يجب مراعاة الآتي:

٣-١ أن العينـة الكبيرة ستعطي نتائج أكـثر دقة، ولكنها ستكون أكثر تكلفة من العينة الصغيرة.

٣-٢ أن العينـة الاحتماليـة ستقدم بيانات كمية أكبر تمثيـلاً للمجتمع من العينة غير الاحتمالية. ولكن العينة غير الاحتمالية يمكن أن تصمم بحيث تقدم بيانات نوعية من خلال عينة صغيرة.

---

(١) راجع كتب الإحصاء الاجتماعي والعينات.

سادساً: مجالات الدراسة:

يقصد بمجالات الدراسة:

أ- **المجال المكاني:** مكان إجراء الدراسة ويغطى هذا المجال في مجتمع الدراسة.

ب- **المجال البشري:** وهو الفئات المستهدفة بالدراسة ويغطى أيضاً من خلال مجتمع وعينة الدراسة.

ج- **المجال الزمني:** وهو الفترة الزمنية (البرنامج الزمني) لإنجاز الدراسة أو البحث.

ويشمل الفترة الزمنية المخصصة لإنجاز الدراسة من قبل الباحث. ويمكن هنا أن يبرمج الباحث خطته الزمنية في برنامج محدد وفق خطوات الدراسة مثلاً:

المجال الزماني لإجراء دراسة مشكلة المخدرات في الرياض هو العام ٢٠١٠م، ويقسم على النحو الآتي:

١- المرحلة الأولى من ٢٠١٠/١/١م إلى ٢٠١٠/٤/١م تصميم الدراسة حتى الاستمارة.

٢- المرحلة الثانية من ٢٠١٠/٤/٢م إلى ٢٠١٠/٦/١م تصميم الاستمارة واختبارها.

٣- المرحلة الثالثة من ٢٠١٠/٦/٢م إلى ٢٠١٠/٨/١م جمع البيانات.

٤- المرحلة الرابعة من ٢٠١٠/٨/٢م إلى ٢٠١٠/١٠/١م تفريغ البيانات وجدولتها وتحويلها إلى جداول إحصائية.

٥- المرحلة الخامسة من ٢٠١٠/١٠/٢م إلى ٢٠١٠/١٢/١م التحليل والنتائج.

٦- المرحلة السادسة من ٢٠١٠/١٢/٢م إلى ٢٠١٠/١٢/٣١م إعداد التقرير النهائي والانتهاء من الدراسة.

وتجـدر الإشـارة هنا إلى أن هـذا البرنامج ليس معيـاراً ثابتاً، والغايـة منه التنسيق والالتزام بالموعد الزمني، وتتبع العمل.

ويمكـن أن يوضـح المجال الزماني مـن خلال شكل توضيحي يبـين البرنامج الزمني المشار إليه على النحو الآتي:

البرنامج الزمني لإعداد دراسة:.....

م	التاريخ / الإجراء	الأشهر[1] ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	تصميم الدراسة حتى الاستبيان												
٢	تصميم الاستبيان واختباره												
٣	جمع البيانات												
٤	تفريغ البيانات وجدولتها												
٥	التحليل والنتائج												
٦	التقرير النهائي												

(١) يمكن أن تستبدل الأشهر بأسابيع حسب ما هو محدد في المجال الزماني.